غزوة الأعاجيب «ذات الرقاع»

محادثة الرجال للنساء بين الإفراط والتفريط

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◆ العدد ٥٤٦ السنة السادسة والأربعون - جمادى الآخرة ١٤٣٨ هـ

الثمن ٣ جنيهات

جهود أنصار السنة في محاربة فكر الغلو والتطرف

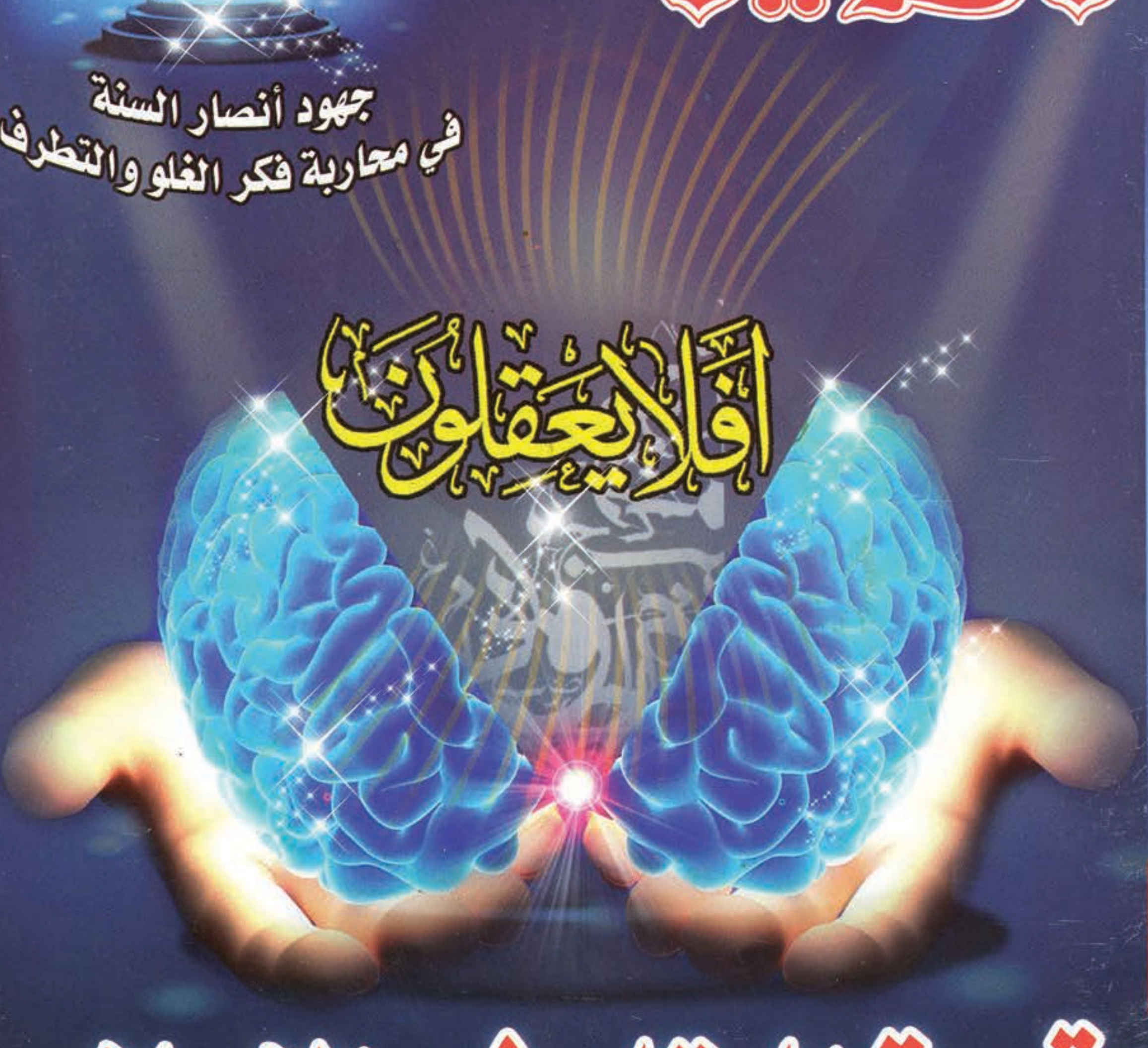

قيمة العقل في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

قد تأتي الحيلة بالرذيلة والأمنيَّة بالمنيَّة

الإنسان لا يدري أين الخير ، فلعل ما أصابه من بلاء يكون خيراً له ، قال الله تعالى: «وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ» (البقرة ٢١٦).

كان رجل في حبس الحجّاج، وكان كلّ من مات في الحبس، رُفع خبره إلى الحجّاج، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله. فقال الرجل للسجّان: خذ منّي عشرة آلاف درهم، واكتب اسمي إلى الحجّاج في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي، هربت في الأرض، فلم يعرف الحجّاج خبري، وإن شئت أن تهرب معي فافعل، وعليَّ نفقتك إلى الأبد، فأخذ السجّان المال، ورفع اسمه في الموتى، فقال الحجّاج: مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه، هاته. فعاد السجان إليه وقال له: اكتب وصيتك، قال: لماذا؟ قال: إنّ الحجّاج أراد أن يراك قبل تسليمك لأهلك، فإن لم أحضرك إليه ميتا قتلني، وعلم أني أردت الحيلة عليه، فلا بد أن أقتلك خنقا. فبكى الرجل وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق، فكتب وصيته وصلّى، فأخذه السجان وخنقه، وأخرجه إلى الحجّاج ميتا. فلما رآه ميتا، قال: سلّمه إلى أهله. فأخذوه، وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم. فكانت مَنِيَّتُه سببُهَا أمنيتُه!!

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي
على ٤٥ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد
عن ٤٥ سنة كاملة

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٧
باب العقيدة: د. صالح الفوزان ٩
اللقطة واللقيطة.. آداب وأحكام: محمد عبد العزيز ١٢
باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
الفكر الإسلامي: د. أحمد سبالك ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
قيمة العقل في الإسلام: د. صالح بن حميد ٢٣
قضاء حوائج الناس: صلاح عبد الخالق ٢٧
باب الفقه: د. حمدي طه ٣٠
القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
الأَمَانَةُ بين الرَّفْعِ والدَّفْعِ: د. عماد محمد عيسى ٣٨
أخطاء الآباء في تربية الأبناء: جمال عبد الرحمن ٤١
فقر الشاعر (٤): د. محمد إبراهيم الحمد ٤٤
اتبعوا ولا تبتدعوا: معاوية محمد هيكل ٤٦
محادثة الرجال للنساء بين الإفراط والتفريط:
المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
الإبداع طريقك نحو قيادة المستقبل: د. ياسر لمعي ٦١
التربية الإسلامية: د. عبد العظيم بدوي ٦٤
العالم الإسلامي: رئيس التحرير ٦٦
وسائل علم القراءات ومقاصده: د. أسامة صابر ٦٨
إعلان الله الحرب على المرابين: عبده أحمد الأقرع ٧٠

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

جهود أنصار السنة المحمدية في محاربة فكر الغلو والتطرف

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإن جمعية أنصار السنة المحمدية جمعية دعوية قامت لدعوة الناس إلى الله تبارك وتعالى على منهاج النبوة، وليست حزبية أو سياسية، ومواقفها على مدار تاريخها واضحة للعيان، غير أن البعض اتهمها بما ليس فيها، وحمّل مواقفها ما لا تحتمل؛ بغيًا وظلمًا، ولأجل ذلك أود أن ألقي الضوء بصورة سريعة عن هذه الجمعية في النقاط التالية:

أولا: التعريف بها:

تأسست الجمعية على يد الشيخ محمد حامد الفقي، رحمه الله، عام ١٣٤٥هـ، وهو أحد علماء الأزهر، وقد وفّقه الله تعالى للوقوف على كتب أئمة الإسلام من أمثال الدارمي، وابن خزيمة، وابن تيمية، وابن القيم، وقد تعلم منهم منهج أهل السنة ومعتقدهم الصحيح المستمَد من الوحي الرباني، وقابل ذلك بما شاهده ورآه من البدع والخرافات التي كانت سائدة آنذاك؛ كدعاء غير الله تعالى، والتمسح بالقبور، والذبح والنذر لأصحابها، فساءَه ذلك، ورأى أنه لا بد من الدعوة والعودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ونبذ البدع والخرافات التي دخلت على المسلمين من الفرق الضالة، وتحكيم الشرع في كل ذلك.

أهداف دعوة الشيخ حامد الفقي وغاياته السامية:

وقد حدَّد رحمه الله الأهداف النبيلة، والغايات السامية من وراء دعوته في نقاط محددة جاء فيها:

١- دعوة الناس إلى التوحيد الخالص المطهَّر من أرجاس الشرك وأدرانه وشوائبه، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين؛ القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلقًا.

٤- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره في أي شأن من شئون الحياة معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.

اهتمام جمعية أنصار السنة بتوحيد الألوهية:

وقد ذكر الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله الرئيس الثاني لجمعية أنصار السنة المحمدية أبرز ما تأسست من أجله أنصار السنة فقال: «ونحن إذا رجعنا إلى اليوم

الذي بدأ الله فيه بإرسال الرسل للناس لوجدنا أن دعوة أنصار السنة بأهدافها ومقاصدها- هي دعوة الرسل جميعًا من نوح إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإن دعوة جميع الرسل والأنبياء لم تكن تحمل في أصولها وجوهرها أول الأمر الدعوة إلى تحريم تعاطي الخمر، أو لعب الميسر، أو اجتناب الفواحش مثلاً، وإنما كانت تحمل همّ الدعوة إلى توحيد الله تعالى عن طريق تحقيق كلمة التقوى (لا إله إلا الله)، وهي كلمة تأمر الناس بالكفر بالطواغيت والأصنام، وإخلاص العبادة لله وحده، وإفراده بالألوهية الخاصة.

والتوحيد مفتاح كل خير وباب كل هدى، فإن المسلم إذا عرف التوحيد حق المعرفة وأخلص العبادة لله، لا بد أن ذلك سيجعله في تقوى دائمة من الله، ومراقبة متصلة لمن يعبده». (جماعة أنصار السنة، نشأتها، أهدافها، د. أحمد الطاهر ص٦١، ٦٢).

اهتمام جمعية أنصار السنة بتوحيد الأسماء والصفات:

وكما اهتمت أنصار السنة بتقرير توحيد الألوهية والاهتمام به، اهتمت أيضًا بتوحيد الأسماء والصفات، وسلكت فيه مسلك السلف القويم، والناظر في كتابات الدكتور محمد خليل هراس في مجلة الهدي النبوي يلمس ذلك بوضوح ومن قوله في ذلك: «النوع الثالث من التوحيد، هو توحيد الأسماء والصفات، ولهذا النوع من التوحيد أهمية خاصة لكثرة ما يقع فيه من اللبس، ولطالما احتدم حوله الجدل، وثار النزاع بين الطوائف المختلفة، فهو بحق مدحضة العلماء ومزلة أقدامهم ومحك اختبارهم، كم ضلَّ فيه من علماء أعلام، وتاه في تيهه كثير من أولي النهى والأحلام، ولا سبب لذلك طبعًا إلا الجري وراء الفلسفات الدخيلة والمذاهب الوثنية، وإحسان الظن بها، وتقديم ذلك على هدي الكتاب والسنة، وقد عالجت هذا الموضوع في كتابي المعروف بـ «ابن تيمية السلفي» عند الكلام على المذاهب المختلفة في الصفات، وفي شرحي للعقيدة الواسطية المعروف بـ «الثمار الشهية»». (انظر مجلة الهدي النبوي، العدد الرابع من المجلد ٢٦ ص١١).

اهتمام جمعية أنصار السنة بنشر السنن والآثار:

والى جانب اهتمام جمعية أنصار السنة بالتوحيد، فقد اهتمت بنشر السنن والآثار، والاتباع ونبذ البدع ومحدثات الأمور؛ عملاً بقول الله تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» (الحشر:٧).

وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بأن أيّ عمل يخالف هديه فهو مردود لا يُقبل، وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله بابًا في صحيحه قال فيه: «باب إذا اجتهد العامل- أو الحاكم- فأخطأ خلاف الرسول صلى الله عليه وسلم من غير علم فحكمه مردود، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (فتح الباري: ١٣/٣١٧).

تحذير أنصار السنة من البدع ومحدثات الأمور:

وكان الشيخ حامد ورفاقه رحمهم الله تعالى يحذرون في مقالاتهم وندواتهم من البدع ومحدثات الأمور، وفي ذلك يقول الشيخ أبو الوفاء درويش رحمه الله: «ومن أخص أهدافها: مكافحة البدع ومحدثات الأمور التي فُتِنَ بها كثيرٌ من الناس وخيَّل إلى بعضهم أنها تزيدهم تعبدًا لله وزلفى لدينه وصرفهم عن تدبر قوله تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» (المائدة:٣)، ولم يزل بهم يعدهم ويمنيهم ويزيدهم في الغي والضلال؛ حتى طغت البدع على السنن، وظن سواد الأمة أن الدعوة إلى محاربتها زندقة وإلحاد، ونظروا بعين العداوة والبغضاء إلى من يدعو إلى اعتناق السنة ومجانبة البدعة». (فاتحة السنة الثانية والعشرين لمجلة الهدي النبوي لعام ١٣٧٧هـ ص٤).

ويقرر ذلك الرئيس الثاني للجماعة العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله فيقول: «بدأت الجماعة تكافح الخرافات لا سيما ما كان متعلقًا منها بالعقائد، وترجع بأعضائها وكل من يشرفها إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وطريق السلف الصالح، وتنيرهم بالمعارف النبوية وتنشئهم على حب الكتاب والسنة وتمرنهم على النزول على حكمها من غير عصبية». (العدد الأول من مجلة الهدي النبوي عام هـ ص٩).

إصدار مجلة الهدي النبوي:

وقد قام الإمام المؤسس رحمه الله تعالى بإصدار مجلة الهدي النبوي لتكون اللسان المعبر عن دعوته في مصر وخارجها، وكان رحمه الله يتطلع إلى صدورها ويتمنى ظهورها، وفي ذلك يقول: «ولطالما تمنت نفسي أن أصدر صحيفة دينية علمية تضم صوتها إلى صوت المصلحين، وتدعو إلى الحق والرشاد والصلاح، ولقد حقق الله الأمنية

وهو المستعان، فلقد أخرجت جماعة أنصار السنة المحمدية مجلتها المباركة «الهدي النبوي» لتحقيق ما سبق ذكره من معالجة الأمراض والأدواء التي تنخر جسم المجتمع المسلم.. وإن من أوَّل أغراض هذه المجلة أن تقدم ما تستطيعه من خدمة ونصح وإرشاد في الشئون الدينية والاجتماعية والأخلاقية». (افتتاحية مجلة الهدي النبوي في أول صدورها ص٣).

وقد فرح بصدور هذه المجلة من لهم قدم صدق في التوحيد والسنة وكتبوا فيها، وقد عبر أحدهم عن ذلك بقوله: «أبشروا أيها المؤمنون بظهور الهدي النبوي، وأيم الله إني لفرح مسرور مستبشر بظهور هذه المجلة التي نرجو من الله لها فتحًا جديدًا للإسلام، ونصرًا قريبًا، وعودة بأهله إلى عزهم ومجدهم القديم، ولطالما تحدثت نفسي بذلك وحنَّت واشتاقت لظهور مجلة كهذه، وكم كنت أفكر في ذلك وأتمناه على الله سبحانه وتعالى، ولقد حقق الله أمنيتي-والحمد لله-، فأظهر مجلة الهدي النبوي على يد الأستاذ الجليل الداعي إلى السنة المحارب للبدعة الشيخ محمد حامد الفقي، صاحب مجلة الإصلاح الحجازية سابقًا، ورئيس جماعة أنصار السنة، وإني لأرجو الله سبحانه أن يجعل هذه المجلة زعيمة المجلات الإسلامية كلها بالقطر المصري وداعيتها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة». (الهديَ النبوي، ربيع الثاني، ١٣٥٦، ص١٩).

ولقد حققت مجلة الهدي النبوي نجاحًا كبيرًا في الأوساط العلمية، وانتشرت انتشارًا واسعًا في بلدان العالم الإسلامي، فوصلت إلى السودان والسعودية، وبلاد الشام والهند، والعراق والمغرب، وقد كتب فيها أئمة علماء مصر وغيرها، كالشيخ حامد الفقي، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والدكتور محمد خليل هراس، والشيخ حسن الباقوري، والشيخ حسن مأمون، كما كتب فيها الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ عبد العزيز بن باز، والدكتور محمد تقي الدين الهلالي، وغيرهم رحمهم الله جميعًا، وقد جُمعت وطُبعت في تسعة وعشرين مجلدًا مع الفهرس.

مجلة التوحيد امتداد للهدي النبوي:

ولما توقفت مجلة الهدي النبوي عن الظهور، وأُعيد إشهار جمعية أنصار السنة أنشأ المؤسس الثاني الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي رحمه الله مجلة التوحيد؛ لتكون امتدادًا للهدي النبوي، وتقوم بالدور الذي كانت تقوم به، في الدعوة إلى التوحيد ونشر السنة، ومحاربة البدعة، وفي أوَّل ظهورها كتب مؤسسها في افتتاحيتها مقالاً بعنوان: «لماذا التوحيد؟»، جاء فيه: «ويصدر بعون الله العدد الأول من مجلة التوحيد في زحمة الأحداث العاتية والظروف القاسية التي تكتنف العالم كله بصفة عامة والبلاد الإسلامية بصفة خاصة، ويمكن للقارئ الكريم أن يلمح من اسم المجلة الغاية النبيلة من إصدارها، والقصد الجليل من ظهورها، والهدف الأسمى الذي ترجو أن يتحقق بانتشارها، وهو إعلام الناس أن القرآن روح الإسلام، وأن التوحيد روح القرآن...، ومن ثم فإن جماعة أنصار السنة المحمدية تركز في دعوتها على التوحيد؛ لأن التوحيد يمنح المسلم مفتاح الحكمة، ويرقى به في معارج السمو، ويفتح له أبواب الكمال، فلا يتصرف إلا بهدي القرآن، ولا يسعى إلى بنوره، ولا يقتدي برسول الله عليه الصلاة والسلام». (العدد الأول من مجلة التوحيد عام ١٣٩٣هـ ص٤، ٥).

وإن من أوَّل أغراض هذه المجلة أن تقدم ما تستطيعه من خدمة ونصح وإرشاد في الشؤون الدينية والاجتماعية والأخلاقية أخذت على نفسها موثقًا من الله أن تنصح فيما تقول، وأن تتحرى الحقَّ، وأن لا تأخذ إلا ما ثبت بالدليل والحجة والبرهان الصحيح من كتاب الله تعالى وحديث رسوله عليه الصلاة والسلام.

ولا تزال المجلة، وستظل بإذن الله تعالى، تصدر حتى كتابة هذه السطور، ويكتب فيها جمع غفير من مصر وخارجها، وجميع أعدادها مجموعة ومطبوعة في مجلدات وصلت إلى خمسة وأربعين مجلدًا، وطلاب العلم اليوم بحاجة إلى هذا المنبر الإعلامي الذي يخرج إليهم في مطلع كل شهر هجري، لما تشتمل عليه من موضوعات في شتى علوم الإسلام.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بها، وأن يأجر كُتّابها والعاملين عليها خيرًا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى.

كلمة التحرير

ترامب والعالم الإسلامي.. وإقصاء العرب عن قضاياهم

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين، وبعد:

فقد مَيَّزَ اللهُ سبحانه أمة الإسلام عبر الحياة ودروبها بحسن التعامل، والشكر للمولى في السراء، والصبر الجميل في الضراء؛ إن انتصروا علموا أن النصر من عند الله، وإن هُزموا علموا أنه من عند أنفسهم كما علَّمهم بذلك ربهم جل وعلا: «أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ» (آل عمران: ١٦٥).

لقد كثرت آلامهم، واغتيلت آمالهم، فخربت أرضهم وديارهم، وزُجَّ بهم في كل مضيق، وهم يتجرعون وهن الظلم والحيف من أجل أن يعترفوا بأنَّ حقهم باطل، وباطل غيرهم حقّ، وأمة الإسلام مع كل ما يقع في ديارهم، وما يدبَّر من أعدائهم للنَّيل منهم، وتفتيت ديارهم، وتقسيم أوطانهم، وتشريد شعوبهم، واستنزاف ثرواتهم، ومع ذلك فأمة الإسلام لديها من مَعين دينها ما تستطيع من خلاله أن تكون أقوى الأمم وأعدلها، إذا اجتمعت على وحدة الدين والتعاون على البر والتقوى، فإن تم لها ذلك فلن يستطيع عدوُّها أن يقتلها ولا أن يشيع جنازتها، ولو أرجع بصره لانقلب إليه بصره خاسئًا وهو حسير.

ترامب يتقوى على الأمة الإسلامية المنهكة بمؤامرات الأعداء

منذ بداية حملة الرئيس الأمريكي «ترامب» وهو يُطلق تصريحاته النارية المعبرة عن كراهيته الشديدة للإسلام والمسلمين، في ظل ما تعيشه الأمة من نكبات وحروب تُفتت أوصالها، وتدمُّر دولها، وتحوُّل شعوبها إلى لاجئين وفارين من لهيب القتل والدمار من هول ما يلاقونه في أوطانهم، يسيحون في الصحاري والأدغال في محاولة للنجاة بحياتهم مشتتين في كل بقاع الأرض تُقْفَلُ في وجوههم الدروب، ولا يجدون لهم مأوى يحتضنهم، ورئيس دولة الديمقراطية المزعومة، وحقوق الإنسان والعدالة والدفاع عن المظلومين يصدر قراره بمنع دخول مواطني ست دول عربية إضافة إلى إيران؛ بمنع دخولهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فهل يؤدي هذا القرار إلى منع الإرهاب في أمريكا، وخفض التهديدات الإرهابية!!

وإذا عدنا قليلاً إلى الوراء فإننا سنجد أنه ومنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، لم يُقتل شخص واحد داخل الولايات المتحدة في هجوم إرهابي على يد واحد من المهاجرين من الدول السبع التي شملها القرار الرئاسي من ترامب وهي سوريا والعراق وليبيا والصومال، والسودان واليمن وإيران!!

والقرار الأمريكي يبعث برسالة خاطئة إلى المسلمين الأمريكيين بأنهم يواجهون حملة من التمييز والعزلة،

وهو ما يؤيد ادعاءات منظمات الإرهاب من أن أمريكا في حرب ضد الإسلام، والرئيس الأمريكي قد تَسَرَّع بهذا القرار الذي يجب، أن يأتي من خلال دراسة دقيقة وشاملة للنزاعات المشتعلة في الشرق الأوسط، والتي تقع مسئوليتها في الأساس على قوى خارجية شاركت في إيجاد منظمات الإرهاب وتمويلها وهو ما أدَّى في النهاية إلى ظهور تنظيم داعش الإرهابي، وتوحشه وقدرته بعد ذلك على تفريخ عناصر إرهابية انتشرت في دول الغرب ومن بينها الولايات المتحدة، وبالتالي فإن القضاء على الإرهاب يُعد هدفًا أكبر وأبعد مدى من منع دخول مواطني سبع دول إلى الولايات المتحدة، وكان الأجدر من ذلك هو أن يبدأ بدراسة حقيقية عن بداية إيجاد هذا الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، وعلى رأسها أميركا، فما كانت القاعدة وداعش إلا صناعة أمريكية غربية ولكن سرعان ما انقلب السحر على الساحر وتركه دون مواجهة بل عمل على تغذيته من تلك الدولِ إلى أن استفحل خطره إلى الدرجة التي نراها حاليا، وصارت تلك الدول تحترق بنيرانه.

ترامب وقضايا الأمة الإسلامية

وفي ظل انشغال العالم الإسلامي بما يحدث في دولهم يطلق الرئيس الأمريكي المنتخب ترامب تصريحاته العنصرية، وكان تصريحه الخطير والأكثر تأثيرًا على العرب والمسلمين هو تصريحه بنقل السفارة الأمريكية للقدس باعتبارِها عاصمة للكيان الصهيوني، وهو التصريح الذي قوبل بغضب شديد في العواصم العربية والإسلامية، ناهيك عن تصريحه أثناء لقائه في الأيام السابقة برئيس الكيان الصهيوني بالرجوع عن حل الدولتين كخيار دولي تبنته الإدارة الأمريكية السابقة، ناهيك عن قراره الأخير بمنع دخول مواطني الدول الإسلامية والعربية السالف ذكره إلى الولايات المتحدة، بحجة واهية؛ أن الإرهاب نابع من تلك الدول، و الإرهاب الذي اعتبره الرئيس الأمريكي نابعًا ولاصقًا بالدول العربية والإسلامية لا دين له، والكثير من الحوادث الإرهابية التي وقعت على الأراضي الأمريكية كانت بأيدي أفراد من غير العرب والمسلمين، ولعل ترامب يتذكر جيدًا حادثة «أوكلاهوما» الشهيرة وغيرها الكثير والكثير، ولكن يبدو أن الطريق إلى البيت الأبيض لا بد أن يبدأ وينتهي بتل أبيب، فأوباما أنهى عمله في البيت الأبيض بأكبر صفقة سلاح عقدها مع نتنياهو وهي عبارة عن حزمة مساعدات عسكرية للكيان الصهيوني تبلغ قيمتها ٤٠ مليار دولار على مدى عشر سنوات، وها هو ترامب يبدأها بعدة صفقات كان قد وعد بها أثناء حملته الانتخابية، وهكذا كل رؤساء أمريكا يقدمون فروض الولاء والطاعة لليهود حتى يستطيعوا الوصول إلى البيت الأبيض، فلينتبه العرب والمسلمون.

أمة الإسلام قد تضعف ولكنها لا تموت

إن أمة الإسلام التي تعيش آلامها وجراحها، وتجني ثمار تشتتها وتفرقها وبُعدها عن خالقها، ومع ذلك فهي أمة عزيزة لا تُنقب- مهما ضاقت أمورها- عن نائحة مستأجرة، ولا إعارة ظئر تُودِّعُ قضايا ترائبَها؛ لأن الدموعَ لا تُعار، والبُكاءَ لا يُحيي الميَت، فلم يَكن للأمة المُسلمة بُدَ إلا أن تعتصم بحبل خالقها قبل كل شيء، ثَم بحبل الاتحاد والاجتماع لقادَة الأمة لنصرة قَضاياها، والدفَاع بكل ما تملك من جُهدِ واستطاعة في كفكَفة دموع الأيتام والثكالَى والجرحَى الذين طالَتْهم حروبُ الظلم والقهر والجبَروت.

وأمة الإسلام المجروحة المكلومة قد تضعُف لكنها لا تموت، وقد تُهزَم ولكنها لا تستكين؛ لأن الله عز وجل يقول: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» (آل عمران: ١٣٩- ١٤١).

إن أمة الإسلام قد تكالبت عليها الأمم من كل فجّ عميق، فلتلتمس في كل ضيق طيفَ السَّعَة، وفي كل كرب طيفَ الفَرَج؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم أمرَ بالفَأل ونهَى عن التشاؤم، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «يُعجبُني الفأل». قالوا: وما الفألُ؟ قال: «الكلمةُ الطيبة». (رواه البخاري ومسلم).

فوجبَ على أمة الإسلام أن تُغلِّبَ جانبَ الفأل في حياتها، وأن تعود إلى شرع ربها، حتى لا تقضي عليها نوائبُ الحروب والخطوب، وألا تستحكمَها حلقاتُ المضَايق؛ لأن الله لا يُعجزُه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، قال جل شأنه: «مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ» (الحج: ١٥)، إنه لن تكسَر رماحٌ مُجتمعة، ولن يأكل الذئبُ من الغنَم إلا القاصية، وما على المُسلمين إلا أن يغلبَ فألُهم يأسَهم، «حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ» (يوسف: ١١٠).

إن الأمرَ إذا ضاقَ اتَسَع، وإذا استحكَمَت حلقاتُه فُرج، ولن يغلبَ عُسرٌ يُسرَيْن، «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (الشَرح:٥، ٦).

اللهم فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين، والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سورة الأحقاف

الحلقة السابعة

إعداد/ **د. عبد العظيم بدوي**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٤) وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ» (الأحقاف: ١٤- ١٥).

«جَزَاءَ بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» في الدُّنْيَا منَ الأَعْمَالِ الصَّالحَةَ الَّتي شَرَعهَا اللَّه تَعالَى، وأَحَبَّهَا منْهُمْ. وَكَثيرًا مَا يَذْكُرُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ أَنَّ الْجَنَّةَ كَانَتْ جَزَاءَ الْعَاملينَ بطَاعَته:

قَالَ تَعالَى: «أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ» (آل عمران: ١٣٦).

وَقَالَ تَعَالَى: «يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٞ (٢٢) كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ (٢٣) جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ» (الواقعة: ١٧- ٢٤). وَالآيَاتُ في ذَلكَ كَثيرَةٌ.

وَقَدْ يوهم هذا التعارض مَعَ قَوْلِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يُدْخلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ». قَالُوا وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟! قَالَ: «وَلاَ أَنَا إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَني اللَّه منْهُ برَحْمَةٍ» (صحيح البخاري ٦٤٦٣).

قَالَ ابْنُ الْجَوْزيّ: يَتَحَصَّلُ عَنْ ذَلكَ أَرْبَعَةُ أَجْوبَة:

الأَوَّلُ: أَنَّ التَّوْفيقَ للْعَمَلِ منْ رَحْمَة اللَّه، وَلَوْلا رَحْمَةُ اللَّه السَّابقَةُ مَا حَصَلَ الإيمَانُ، وَلاَ الطَّاعَةُ الَّتي يَحْصُلُ بهَا النَّجَاةُ.

الثَّاني: أَنَّ مَنَافعَ الْعَبْد لسَيِّده فَعَمَلُهُ مُسْتَحَقٌّ لمَوْلاَهُ فَمَهْمَا أَنْعَمَ عَلَيْه منَ الْجَزَاء فَهُوَ منْ فَضْله.

الثَّالثُ: جَاءَ في بَعْض الأَحَاديث أَنَّ نَفْسَ دُخُول الْجَنَّة برَحْمَة اللَّه، وَاقْتسَامَ الدَّرَجَات بالأَعْمَال.

الرَّابعُ: أَنَّ أَعْمَالَ الطَّاعَات كَانَتْ في زَمَنٍ يَسير، وَالثَّوَابُ لاَ يَنْفَدُ، فَالإنْعَامُ الَّذي لاَ يَنْفَدُ في جَزَاء مَا يَنْفَدُ بالْفَضْل لاَ بمُقَابَلَة الأَعْمَال.

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّم في كتَاب «مفْتَاح دَار السَّعَادَة»: الْبَاءُ الْمُقْتَضيَةُ للدُّخُول غَيْرُ الْبَاء الْمَاضيَة، فَالأُولَى السَّبَبيَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ الأَعْمَالَ سَبَبُ الدُّخُول، الْمُقْتَضيَةُ لَهُ كَاقْتضَاء سَائر الأَسْبَاب لمُسَبَّبَاتهَا، وَالثَّانيَةُ بَاءُ الْمُعَاوَضَة، نَحْوَ: اشْتَرَيْتُ منْهُ بكَذَا، فَأَخْبَرَ أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّة لَيْسَ في مُقَابَلَة عَمَل أَحَد، وَأَنَّهُ لَوْلاَ رَحْمَةُ اللَّه لعَبْده لَمَا أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، لأَنَّ الْعَمَلَ بمُجَرَّده وَلَوْ تَنَاهَى لاَ يُوجبُ بمُجَرَّده دُخُولَ الْجَنَّة، وَلاَ أَنْ يَكُونَ عوَضًا لَهَا، لأَنَّهُ وَلَوْ وَقَعَ عَلَى الْوَجْه الَّذي يُحبُّهُ

اللهُ لاَ يُقَاوِمُ نِعْمَةَ اللهِ، بَلْ جَمِيعُ الْعَمَلِ لاَ يُوَازِي نِعْمَةً وَاحِدَةً، فَتَبْقَى سَائِرُ نِعَمِهِ مُقْتَضِيَةً لِشُكْرِهَا، وَهُوَ لَمْ يُوَفِّهَا حَقَّ شُكْرِهَا، فَلَوْ عَذَّبَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَعَذَّبَهُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ، وَإِذَا رَحِمَهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا مِنْ عَمَلِهِ كَمَا فِي حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ الَّذِي أخرجه أَبُو دَاوُد وابن مَاجَهْ فِي ذِكْرِ الْقَدَرِ فَفِيهِ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ». (صحيح سنن أبي داود: ٣٩٣٢).

قَالَ: وَهَذَا فَصْلُ الْخِطَابِ مَعَ الْجَبْرِيَّةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ تَكُونَ الأَعْمَالُ سَبَبًا فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَالْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ عِوَضُ الْعَمَلِ، وَأَنَّهَا ثَمَنُهُ، وَأَنَّ دُخُولَهَا بِمَحْضِ الأَعْمَالِ، وَالْحَدِيثُ يُبْطِلُ دَعْوَى الطَّائِفَتَيْنِ. وَاللهُ أَعْلَمُ. (فتح الباري(١١/٢٩٦)).

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تُبَشِّرُ أَهْلَ الاسْتِقَامَةِ بِمَا وَعَدَهُمْ بِهِ عِنْدَ مَمَاتِهِمْ، وَفِي قُبُورِهِمْ، وَيَوْمَ بَعْثِهِمْ:

قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ» (فصلت: ٣٠- ٣٢).

وَقَالَ تَعَالَى: «لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ» (الأنبياء: ١٠٢- ١٠٣).

عظم حق الوالدين:

وَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ فِي الاسْتِقَامَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَالَ: «وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا»، وَكَثِيرًا مَا يَقْرِنُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَقَّ الْوَالِدَيْنِ بِحَقِّهِ:

قَالَ تَعَالَى: «وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا» (النساء: ٣٦).

وَقَالَ تَعَالَى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا» (الإسراء: ٢٣).

وَقَالَ تَعَالَى: «قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ» (الأنعام: ١٥١).

وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الإِحْسَانَ إِلَى الْوَالِدَيْنِ ثَانِيَ الأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ: فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» (صحيح البخاري ٥٢٧).

وَفِي الْمُقَابِلِ عَدَّ صلى الله عليه وسلم عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ثَانِيَ الأَعْمَالِ الْمُحَرَّمَةِ:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي اللهُ عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ» ثَلاَثًا. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ». وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ». قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ. (صحيح البخاري ٢٦٥٤).

فَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ ثَانِي الأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي تُوجِبُ الْجَنَّةَ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ثَانِي الأَعْمَالِ الْمُحَرَّمَةِ الَّتِي تُوجِبُ النَّارَ، وَاللهُ تَعَالَى يُوصِي الأَوْلاَدَ بِآبَائِهِمْ: «وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا»، وَفِي مَوْضِعٍ ثَانٍ قَالَ تَعَالَى: «وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (العنكبوت: ٨)، قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالإِحْسَانِ: أَنَّ الْحَسَنَ ضِدُّهُ الْقَبِيحُ، وَالإِحْسَانُ ضِدُّهُ الإِسَاءَةُ، فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى الأَبْنَاءَ أَنْ يُحْسِنُوا إِلَى الآبَاءِ، وَأَنْ يُحْسِنُوا مُعَامَلَتَهُمْ، وَأَنْ يُعَامِلُوهُمْ بِالْحُسْنَى، وَأَلاَّ يُعَامِلُوهُمْ بِالْقَبِيحِ، وَأَلاَّ يُسِيئُوا إِلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا» (الإسراء: ٢٣- ٢٤).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب العقيدة

العبادة.. معناها وشمولها

الحلقة السابعة

إعداد/ **د. صالح الفوزان**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

معنى العبادة:

أصل العبادة التذلل والخضوع.. وفي الشرع: لها تعاريف كثيرة، ومعناها واحد.. منها: أنَّ العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمرَ الله به على ألسنة رسله.

ومنها: أن العبادة، معناها: التذلُّل لله سبحانه فهي: غايةُ الذّل لله تعالى مع غاية حُبّه، والتعريف الجامع لها هو أن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وهي مُنقسمة على القلب واللسان والجوارح، فالخوف والرجاء، والمحبة والتوكل، والرغبة والرهبة: عبادة قلبية، والتسبيح والتهليل والتكبير، والحمد والشكر باللسان والقلب: عبادة لسانية قلبية.

والصلاة والزكاة والحج والجهاد: عبادة بدنية قلبية، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي تجري على القلب واللسان والجوارح، وهي كثيرة.

والعبادةُ: هي التي خلق الله الخلق من أجلها، قال تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ » (الذاريات: ٥٦-٥٨).

فأخبر سبحانه أن الحكمة من خلق الجن والإنس: هي قيامهم بعبادة الله، والله غنيٌّ عن عبادتهم، وإنما هم المحتاجون إليها لفقرهم إلى الله تعالى، فيعبدونه على وفق شريعته، فمن أبى أن يعبد الله؛ فهو مستكبر. ومن عبده وعبد معه غيره؛ فهو مشرك. ومن عبده وحده بغير ما شرع؛ فهو مبتدع. ومن عبده وحده بما شرع فهو المؤمن الموحِّد.

أنواع العبادة وشمولها:

العبادة لها أنواع كثيرة؛ فهي تشمل كل أنواع الطاعات الظاهرة على اللسان والجوارح، والصادرة عن القلب؛ كالذكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن، والصلاة والزكاة والصيام، والحج، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، فهي شاملة لكل تصرفات المؤمن؛ إذا نوى بها القربة أو ما يعين عليها. حتى العادات، إذا قصد بها التقوِّي على الطاعات، كالنوم والأكل والشرب، والبيع والشراء وطلب الرزق والنكاح، فإن هذه العادات مع النية الصالحة تصيرُ عبادات؛ يثاب عليها، وليست العبادة قاصرة على الشعائر المعروفة.

العبادات توقيفية:

بمعنى: أنه لا يشرع شيء منها إلا بدليل من الكتاب والسنة، وما لم يشرع يعتبر بدعة مردودة، كما قال النبي صلى الله عليه

وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (متفق عليه) أي مردود عليه عمله، لا يقبل منه، بل يأثم عليه؛ لأنه معصية وليس طاعة، ثم إن المنهج السليم في أداء العبادات المشروعة هو: الاعتدال بين التساهل والتكاسل؛ وبين التشدد والغلو. قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: « فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (هود: ١١٢).

فهذه الآية الكريمة فيها رسم لخطة المنهج السليم في فعل العبادات، وذلك بالاستقامة في فعلها على الطريق المعتدل؛ الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط؛ حسب الشرع (كما أمرت) ثم أكد ذلك بقوله: (ولا تطغوا) والطغيان: مجاوزة الحد بالتشدد والتنطع، وهو الغلو. ولما علم صلى الله عليه وسلم بأن ثلاثة من أصحابه تقالوا في أعمالهم، حيث قال أحدهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أصلي ولا أرقد، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء. قال صلى الله عليه وسلم: (أما أنا فأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني) (متفق عليه).

وهناك الآن فئتان من الناس على طرفي نقيض في أمر العبادة:

الفئة الأولى: قصَّرت في مفهوم العبادة وتساهلت في أدائها حتى عطلت كثيرًا من أنواعها، وقصرتها على أعمال محدودة، وشعائر قليلة تؤدى في المسجد فقط، ولا مجال للعبادة في البيت، ولا في المكتب، ولا في المتجر، ولا في الشارع، ولا في المعاملات، وفي السياسة، ولا الحكم في المنازعات، ولا غير ذلك من شئون الحياة.

نعم للمسجد فضلٌ، ويجب أن تؤدى فيه الصلوات الخمس، ولكن العبادة تشمل كل حياة المسلم؛ داخل المسجد وخارجه.

والفئة الثانية: تشددت في تطبيق العبادات إلى حد التطرف، فرفعت المستحبات إلى مرتبة الواجبات، وحرَّمت بعض المباحات، وحكمت بالتضليل أو التخطئة على من خالف منهجها، وخطَّأ مفاهيمها. وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها.

ركائز العبودية الصحيحة:

إن العبادة ترتكز على ثلاث ركائز هي: الحبُّ والخوفُ والرجاء.

فالحب مع الذُل، والخوف مع الرجاء، لابد في العبادة من اجتماع هذه الأمور، قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: « يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ » (المائدة: ٥٤)، وقال تعالى: « وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ » (البقرة: ١٦٥).

وقال في وصف رُسُله وأنبيائه: « إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ » (الأنبياء: ٩٠).

وقال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن مُوحِّد. ذكر هذا شيخُ الإسلام في رسالة (العبودية) وقال أيضًا: (فدين الله: عبادته وطاعته والخضوع له، والعبادة أصل معناها: الذل. يقال: طريقٌ مُعبَّدٌ، إذا كان مُذللاً قد وطئته الأقدام. لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى، بغاية الحب له، ومن خضَعَ لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحبّ شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، كما يُحبُّ الرجل ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله...) انتهى.

هذه ركائز العبودية التي تدور عليها، قال

العلامة ابن القيم في النونية:

وعبادةُ الرحمن غايةُ حُبِّه
مع ذُلِّ عابده هما قطبـان
وعليهما فلكُ العبادة دائرٌ
ما دار حتى قامت القُطبـان
ومَدارُهُ بالأمر أمر رَسوله
لا بالهوى والنفس والشيطان

شبَّه- رحمَهُ الله- دورانَ العبادة على المحبة والذل للمحبوب، وهو الله جل وعلا؛ بدوران الفلك على قطبيه، وذكر أن دوران فلك العبادة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وما شرعه، لا بالهوى، وما تأمر به النفس والشيطان، فليس ذلك من العبادة. فما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يدير فلك العبادة، ولا تُديره البدع والخرافات والأهواء وتقليد الآباء.

التشريع حق لله تعالى:

والمراد بالتشريع: ما ينزِّلُه الله لعباده من المنهج الذي يسيرون عليه في العقائد والمعاملات وغيرها؛ ومن ذلك التحليل والتحريم، فليس لأحد أن يحل إلا ما أحله الله، ولا يحرم إلا ما حرم الله، قال تعالى: « وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ » (النحل: ١١٦)، وقال تعالى: « قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ » (يونس: ٥٩).

فقد نهى الله عن التحليل والتحريم؛ بدون دليل من الكتاب والسنة، وأخبر أن ذلك من الكذب على الله، كما أخبر سبحانه أنَّ من أوجَبَ شيئًا أو حرَّمَ شيئًا من غير دليل؛ فقد جعل نفسه شريكًا لله فيما هو من خصائصه، وهو التشريع، قال تعالى: « أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ » (الشورى: ٢١). ومن أطاع هذا المشرِّع من دون الله وهو يعلم بذلك ووافقه على فعله، فقد أشركه مع الله، قال تعالى: «وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » (الأنعام: ١٢١).

يعني: الذين يُحلّون ما حرَّم الله من الميتات، مَن أطاعهم في ذلك فهو مشرك، كما أخبر سبحانه أن من أطاع الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحله الله؛ فقد اتخذهم أربابًا من دون الله، قال تعالى: « ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (التوبة: ٣١).

ولما سمع عديّ بنُ حاتم- رضي الله عنه- هذه الآية، قال: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أليسوا يُحلون ما حرَّم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه)؟ قال: بلى، قال: (فتلك عبادتهم) (رواه الترمذي).

قال الشيخُ عبد الرحمن بن حسن- رحمه الله-: (وفي الحديث دليل على أنَّ طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله؛ عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفِره الله؛ بقوله تعالى في آخر الآية: «وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

وَنظير ذلك قوله تعالى: « وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » (الأنعام: ١٢١).

وهذا وقع فيه كثيرٌ من النَّاس مع من قلدوهم؛ لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المُقلَّد؛ وهو من هذا الشرك) انتهى.

فالتزام شرع الله، وترك شرع ما سواه، هو من مقتضى لا إله إلا الله، والله المستعان.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

اللقطة واللقيط.. آداب وأحكام

الحلقة الثالثة

إعداد/ **محمد عبد العزيز السيد**

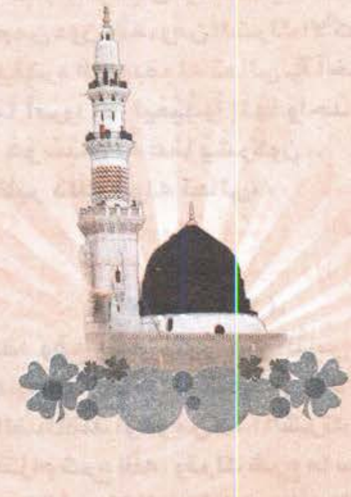

الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تناولنا في المقال السابق تحت هذا العنوان:

- الحكم التكليفي المتعلق بالالتقاط.
- حكم تعريف اللقطة.

وها نحن نعود للحديث عن آداب وأحكام اللقطة واللقيط، وسوف نتناول في هذا العدد بإذن الله تعالى:

- حكم اللقطة أثناء فترة التعريف.
- هل تملك اللقطة بعد فترة التعريف؟

حكم اللقطة أثناء فترة التعريف:

سبق أن اللقطة في يد الملتقط أمانة؛ يجب عليه حفظها في حرز مثلها مدة تعريفها، مما يحفظ فيه أمواله عادة، ولا يجوز له والحالة هذه استعمالها إلا بما يصلحها لحديث زيد بن خالد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولتكن وديعة عندك، فإن جاء طالبها يومًا من الدهر فأدها إليه». رواه البخاري (٢٣٧٢)، ومسلم (١٧٢٢).

فإن كانت اللقطة تحتاج لنفقة حتى تبقى، أنفق عليها من ماله، ثم إنه إن نوى الرجوع على صاحبها بما أنفق، كان مستحقًا لما أنفقه، وإلا فهو متبرع به. وهذا الذي سبق فيه خلاف، وقد قال ابن رشد في بداية المجتهد (٩٣/٤): «واختلفوا هل يرجع الملتقط بما أنفق على اللقطة على صاحبها أم لا؟ فقال الجمهور: ملتقط اللقطة متطوع بحفظها، فلا يرجع بشيء من ذلك على صاحب اللقطة.

وقال الكوفيون: لا يرجع بما أنفق إلا أن تكون النفقة عن إذن الحاكم».

قلت: وإلى تفصيل الكوفيين ذهب الشافعية أيضًا، وما اخترته هنا هو أعدل المذاهب في نظري.

وإذا كانت اللقطة مما يسرع إليه الفساد، كطعام أو نحوه، فله أحوال:

الأول: أن يكون مما يحفظ بالمعالجة فيجب على الملتقط أن يفعل الأصلح لمالكه، كتجفيف ما يُجفف، أو حفظها في ثلاجة...، ويكون متبرعًا

بمعالجته.

الآخر: أن لا يتمكن من فعل ذلك فهو مخيّر فيه بين أمرين:

- أن يأكله، ويضمن ثمنه لصاحبه يوم أكله.
- أن يبيعه بثمن مثله، ويضمن الثمن لصاحبه.

وعلى هذا فاللقطة في فترة التعريف أمانة لا تضمن إلا بالتفريط، فإن جاء صاحبها في فترة التعريف ردت إليه بنمائه المتصل والمنفصل، وقد نفى ابن قدامة وجود الخلاف فيما تقدم من أحكام، قال في المغني (٨٦/٦ - ٨٧): «اللقطة في الحول أمانة في يد الملتقط، إن تلفت بغير تفريطه أو نقصت، فلا ضمان عليه، كالوديعة.

- ومتى جاء صاحبها، فوجدها أخذها بزيادتها المتصلة والمنفصلة؛ لأنها نماء ملكه.
- وإن أتلفها الملتقط، أو تلفت بتفريطه، ضمنها بمثلها إن كانت من ذوات الأمثال، وبقيمتها إن لم يكن لها مثل.
- لا أعلم في هذا خلافاً».

لكن إن تعدى فاستعملها في مصلحة نفسه، فهو خائن للأمانة، وتصبح يده ضامنة سواء فرط أو لم يفرط.

هل تملك اللقطة بعد فترة التعريف؟

اختلف أهل العلم في حكم اللقطة بعد مضي فترة التعريف حولاً على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها لا تملك بعد مضي الحول، لكن إن كان الملتقط فقيرًا جاز له الانتفاع بها، وإن كان غنيًا تصدق بها عن صاحبها.

فإن جاء صاحبها يومًا من الدهر فهو بالخيار بين إمضاء الصدقة، أو تضمين المتصدق، أو أخذها من الفقير المتصدق عليه، وهو مذهب الحنفية، قال القدوري في التجريد (٣٨٦٨/٨): «قال أصحابنا: لا يملك الملتقط اللقطة، فإن كان فقيرًا جاز له الانتفاع بها.

وإن كان غنيًا كان له أن يتصدق بها، وله أن يملكها لصاحبها، وليس له أن يتملكها».

للأدلة العامة في الشريعة كقوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)، وقوله: (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين). ولحديث ابن أبي شيبة (٤٥١/٦، ٤٥٢)، وعبد الرزاق في المصنف (١٣٩/١٠) من طريق سفيان عن أبي إسحاق عن أبي السَّفَر عن رجل من بني رؤاس قال: «التقطت ثلاثمائة درهم فعرفتها تعريفاً ضعيفاً، وأنا يومئذ محتاج، فأكلتها حين لم أجد أحداً يعرفها، ثم أيسرت. فسألت عليًا، فقال: عرفها سنة، فإن جاء صاحبها فادفعها إليه، وإلا فتصدق بها، وإلا فخيِّره بين الأجر وبين أن تغرمها له».

وهو حديث ضعيف لا تقوم به حجة، وهو مع ذلك موقوف على علي رضي الله عنه.

الثاني: إن اللقطة بعد تعريفها حولاً تملك بالنية، أو التملك بالقول أو الفعل، وهو مذهب الشافعي، قال الخطيب الشربيني في مغني المحتاج (٥٩٢/٣): «(إذا عرف) ملتقطها للتملك (سنة) على العادة أو دونها على ما مر جاز له التملك، و(لم يملكها) بذلك (حتى يختاره) أي التملك (بلفظ) من ناطق يدل على التملك (كتملكت) ما التقطته؛ لأنه تمليك مال ببدل فافتقر إلى ذلك كالشفيع ويملكه بذلك، ولو لم يتصرف فيه كالقرض، وهذا فيما يملك».

الثالث: إن اللقطة تدخل في ملكه بمجرد مضي الحول دون افتقار إلى نية التملك، وهو مذهب الحنابلة، وأحد القولين في مذهب الشافعية.

قال ابن قدامة في المغني (٨٠/٦): «وكل ما جاز التقاطه، ملك بالتعريف عند تمامه، أثمانا كانت أو غيرها».

وقد استدلوا بأدلة منها حديث عياض بن حمار رضي الله عنه وفيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلا فهو مالُ الله يؤتيه مَنْ يشاءُ». رواه أبو داود (١٧٠٩)، وابن ماجه (٢٥٠٥)، والنسائي في "الكبرى" (٥٧٧٦) و(٥٧٧٧).

وأعدل الأقوال في هذا الباب أنه يجوز له التصرف فيها ثم تكون مضمونة لصاحبها لحديث زيد بن خالد بن زيد الجهني، وفيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثم عرفها سنة، فإن لم تعرف فاستنفقها، ولتكن وديعة عندك، فإن جاء طالبها يومًا من الدهر فأدها إليه». رواه البخاري (٢٣٧٢)، ومسلم (١٧٢٢).

هذا ما يسره الله في هذا المقال، وللحديث بقية عن أحكام اللقيط.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

باب
الاقتصاد
الإسلامي

أصول منهج التربية الاقتصادية في الإسلام

إعداد/ د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

لقد اهتم الإسلام بالإنسان عقيدة وأخلاقًا، وسلوكًا ومنهجًا، وفكرًا وتطبيقًا، ووضع علماؤه مناهج تربوية لتكوين الشخصية الإسلامية التي تستطيع حمل الرسالة، وأداء الأمانة، وتقديم النموذج التطبيقي للإسلام في كافة نواحي الحياة.

ولقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم أولاً بتربية الصحابة على القيم الإيمانية والأخلاقية والسلوكية، ثم بعد ذلك بنى لهم سوقًا للمعاملات، وَسَنَّ (وضع) لهم الدستور الاقتصادي الإسلامي، ومن النماذج العملية لذلك التجار المسلمين الذين حملوا معهم رسالة الإسلام في تجارتهم في كثير من دول شرق آسيا وإفريقيا، فكانوا سبيلاً لدخول الكثير من الناس في دين الإسلام أفواجا.

ويستنبط من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: اهتم بالتربية الروحية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية والبدنية، وكذلك بالتربية الاقتصادية، وكان من ثمار ذلك تكوين الشخصية الإسلامية ذات السلوك القويم.

وعندما انحرف المسلمون عن السلوك الاقتصادي الإسلامي القويم في معاملاتهم ظهرت العديد من المخالفات الشرعية، والخلافات الشخصية، والمشكلات الاقتصادية، ومُحقت البركات، وعلاج هذا كله هو الرجوع إلى أصول المعاملات الاقتصادية كما وردت في مصادر الشريعة الإسلامية وتربية المسلمين عليها.

معنى التربية الاقتصادية الإسلامية:

نتناول أولاً المقصود بالتربية الإسلامية، وعلى أساسها نوضح المقصود بالتربية الاقتصادية الإسلامية.

معنى التربية في الإسلام

هناك معاني مختلفة لمدلول التربية، وبصفه عامة هي تشكيل الإنسان إيمانيًا وخلقيًّا ونفسيًّا وسلوكيًّا في إطار منظومة من المعارف والخبرات ليكون صالحا لأداء عمل نافع منتج لتحقيق مقاصد وغايات معينة.

أما معنى التربية في الإسلام كما يعرفها علماء التربية

الإسلامية، هي تشكيل شخصية المسلم إيمانيًا وخلقيًا وفكريًا ونفسيًا ووجدانيًا وجسديًا، وتزويده بالمعارف والثقافات الإسلامية، وبالخبرات العلمية اللازمة لتنميته تنمية متوازنة وسليمة طبقًا لمقاصد الشريعة الإسلامية الغراء، ولينجم عن ذلك الفرد المستقيم سلوكيًا، ليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع المسلم، ولتحقيق رسالة الإسلام في شتى مجالات الحياة.

ويتضمن هذا المعنى المعالم الأساسية للتربية الإسلامية وهي:

- التركيز على الإنسان فهو مناط التربية، فإذا صلح الفرد صلحت الأسرة والمجتمع والدولة والأمة، ويُصبح قوة فعالة قائدة ورائدة ومقدامة في كافة جوانب الحياة.
- شمولية التربية لتغطى كافة جوانب تكوين الشخصية الإسلامية، عقديًا وخلقيًا ونفسيًا وفكريًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا... ونحو ذلك.
- ارتباط عملية التربية بمقاصد وأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية لتحقيق الغايات من خَلْق الإنسان وهى عبادة الله وتطبيق شريعته في هذه الحياة الدنيا.
- المعاصرة في استخدام سبل ووسائل وأدوات التربية متى كانت لا تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.
- غاية التربية: تكوين السلوك المستقيم للإنسان وفق شرع الله، أي إصلاح الفرد والبيت والمجتمع والدولة

معنى التربية الاقتصادية في الإسلام

في ضوء ما سبق يمكن بيان معنى التربية الاقتصادية في الإسلام بأنها:

تشكيل السلوك الاقتصادي للمسلم المنبثق من تكوينه الشخصي: إيمانيًا وخلقيًا ونفسيًا وثقافيًا وفنيًا ومن خلال تزويده بالثقافة الفكرية وبالخبرات العملية الاقتصادية وبما يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية، لتحقيق الحياة الرغدة الكريمة لتعينه على عمارة الأرض وعبادة الله عز وجل.

ويتضمن هذا المعنى المعالم الأساسية للتربية الاقتصادية في الإسلام والتي تتمثل في الآتي:

- وجود الشخصية التي تربت تربية إسلامية شاملة وفعالة: إيمانيًا وخلقيًا ونفسيًا وفكريًا وفنيًا وما في حكم ذلك (فقه التربية الشاملة).
- تزويد هذه الشخصية بالثقافة الاقتصادية الإسلامية (فقه الاقتصاد الإسلامي).
- تنمية كفاءة هذه الشخصية بالخبرات العملية في ممارسة المعاملات الاقتصادية باستخدام السبل والأساليب والأدوات الاقتصادية المعاصرة المشروعة (الجوانب العملية للمعاملات الاقتصادية).
- من ثمرات التربية الاقتصادية الإسلامية وجود السلوك الاقتصادي السليم المنضبط بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية (السلوك الاقتصادي الإسلامي).
- من غايات السلوك الاقتصادي الإسلامي تعمير الأرض وعبادة الله سبحانه وتعالى وفقًا لمقاصد الشريعة الإسلامية (غاية التربية الاقتصادية الإسلامية).

الربط بين التربية الإسلامية والتربية الاقتصادية:

تعتبر التربية الاقتصادية جزءًا من منظومة التربية الإسلامية لا ينفصم عنها طبقًا للفهم الصحيح للإسلام الذي يشمل كل نواحي الحياة (شمولية الإسلام)، وهذا عكس الفهم العلماني الذي يفصل الدين عن الاقتصاد.

فالتربية الشاملة للمسلم تبدأ من تكوين شخصيته الإسلامية عقيدة وشريعة، ومشاعر وشرائع، ووجدان، وموضوعية، ويتخذ من الدين سندًا له في كافة معاملاته ومنها الاقتصادية، وينجم عن هذا السلوك الاقتصادي السليم المنضبط بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

فإذا استقر الإيمان في القلب فإنه يقود الإنسان إلى الالتزام بالحلال الطيب وتفاعلت معه النفس، وكان من ثمرة ذلك انقياد الجوارح

لتسلك السلوك السليم الرشيد لتحقيق ما اطمأن إليه القلب، فالتربية موجه أولا إلى القلوب والنفوس والأفئدة ثم إلى الجوارح، ومن حصادها السلوك الاقتصادي الإسلامي.

وتأسيسًا على ما سبق لا يمكن الفصل بين التربية الإسلامية والتربية الاقتصادية والسلوك الاقتصادي السليم الرشيد.

وجوب التربية الاقتصادية الإسلامية:

يعتبر الالتزام بالقيم والضوابط الشرعية في المعاملات الاقتصادية ضرورة شرعية وواجب ديني لتحقيق سلوك اقتصادي رشيد لتوظيف عوامل الإنتاج المختلفة توظيفًا رشيدًا ونافعًا، وفي هذا خير وبركة، ونماء واطمئنان، ودعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يتحقق ذلك إلا إذا اكتملت جوانب التربية عند المسلم لتشمل فيما تشمل التربية الاقتصادية، والتي تحقق له البركات في ماله وفي أهله وولده، ولقد قال الفقهاء: «من لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، ولذلك فهي واجب، ومن ثمارها الطيبة ما يلي:

- الاستشعار الإيماني بزينة الالتزام بشرع الله عز وجل وهذا من مسائل الإيمانيات التي فيها تحقيق رضا الله عز وجل.
- إن معرفة المعاملات الاقتصادية المشروعة والالتزام بها يحقق البركة والنماء في المال والكسب في الربح.
- إن تجنب المعاملات الاقتصادية المنهي عنها شرعًا وقاية من المحق والحياة الضنك، لأن الوقوع في الذنوب والمعاصي فيه حرمان للمسلم من الرزق الذي كان قد هيئ له.
- حماية المعاملات الاقتصادية بين المسلم وأخيه، وبين المسلم وغير المسلم، من الشك والريبة والخلافات التي تسبب خللاً في المعاملات.
- تساعد التربية الاقتصادية كذلك في الدعوة الإسلامية على بصيرة وعلم، والربط بين المفاهيم والأفعال، والمبادئ والأعمال.
- كما تمكن التربية الاقتصادية من تقديم النموذج السلوكي الاقتصادي الإسلامي للناس (غير المسلمين) والذي يؤكد على أن الإسلام دين شامل، ومنهج حياه، وليس دين رهبانية، عبادات وطقوس فقط، بل دين ودولة عبادات ومعاملات.

والتربية الاقتصادية الإسلامية واجبة في كل مراحل الحياة منذ الطفولة وحتى الشيخوخة وتتزامن مع محاور التربية الأخرى وفق مقررات معينة تناسب كل مرحلة على النحو الذي سوف نفصله فيما بعد.

كما يجب على رجال التربية والتعليم والتدريب والتطوير أن يأخذوا البعد الاقتصادي في المناهج والمقررات التي تقدم للإنسان في مراحل التربية والتعليم المختلفة.

خصائص التربية الاقتصادية في الإسلام:

تتسم التربية الاقتصادية الإسلامية بمجموعة من الخصائص المميزة والتي تبرز معالمها الأساسية، كما توضح الفروق بينها وبين التربية الاقتصادية التقليدية الوضعية والعلمانية.

فهي جزء من التربية الشاملة للمسلم من الجوانب الإيمانية والأخلاقية والسلوكية والاجتماعية والثقافية...، ونحو ذلك، فكل جانب يتفاعل مع الجوانب الأخرى كمثل الجسد الواحد والنظام الواحد الذي يتكون من عدة نظم فرعية بينها تفاعل وتكامل.

تستقى مرجعية هذه التربية من مصادر الشريعة الإسلامية المتعارف عليها في كتب أصول الفقه الإسلامي، (القرآن والسنة، الإجماع، والقياس، والمصالح المرسلة، والعرف، وشرع مَن سبقنا)، وكذلك من تراكم الثقافات والحضارات متى كانت لا تتنافى مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

وسوف نعرض في هذا البند أهم هذه الخصائص بشيء من الإيجاز والاختصار بأسلوب مبسط سهل موجز في الحلقة القادمة إن شاء الله.

باب السنة

بشرى أولي الألباب بسبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عُرضت عليَّ الأمم، فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت، فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون). فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم قال: (اللهم اجعله منهم). ثم قام إليه رجل آخر قال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (سبقك بها عكاشة).

أولًا: العزو:

الحديث مروي في الكتب الستة في البخاري في أربعة مواضع:

في كتاب الرقاق في موضعين؛ باب: ومن يتوكل على الله فهو حسبه رقم (٦١٠٧) وباب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب (٦١٧٥).

وفي كتاب الطب في موضعين؛ باب: من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتوِ (٥٣٧٨)، وباب من لم يرقِ (٥٤٢٠).

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٣٧١).

وأخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٦).

ثانيًا: المعنى العام:

من قصص الإسراء:

هذا الحديث هو مما وقع للنبي ليلة الإسراء كما عند الترمذي وعلى قول من ذهب إلى تعدد الإسراء والمعراج، وأنه وقع بالمدينة أيضًا غير الذي وقع بمكة؛ إذ إن الإسراء والمعراج الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح أبواب السماوات بابًا بابًا ولا من التقاء الأنبياء كل واحد في سماء ولا المراجعة معهم ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وسائر ما يتعلق بذلك، وإنما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك رآها النبي صلى الله عليه وسلم؛ فمنها ما وقع بمكة، ومنها بالمدينة بعد الهجرة، ومعظمها في المنام، والله أعلم.

أمة الإسلام بالنسبة للأمم:

الأنبياء يتفاوتون في عدد أتباعهم؛ إذ قال: (فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك).

والسواد هو الشخص الذي يُرى من بعيد،

وصفه بالكثير إشارة إلى أن المراد بلفظ الجنس لا الواحد، فهم عدد كثير من الناس يُرى من بعيد كأنه سواد، فتمنى النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون أمته. فقيل: هذا موسى في قومه، ثم بشّره الله بقوله: (ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك).

وقد استشكل كونه- صلى الله عليه وسلم- لم يعرف أمته حتى ظن أنهم أمة موسى، وقد ثبت من حديث أبي هريرة كيف تعرف من لم تر من أمتك؟ فقال: «إنهم غُرّ محجلون من أثر الوضوء»، وأجيب بأن الأشخاص التي رآها في الأفق لا يدرك منها إلا الكثرة من غير تمييز لأعيانهم، وأما ما في حديث أبي هريرة فمحمول على ما إذا قربوا منه.

بشرى لأمة الإسلام:

وإذ بالبشرى من الله (وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب).

فسأل النبي صلى الله عليه وسلم (ولمَ؟) وفي رواية «ثم نهض - أي: النبي صلى الله عليه وسلم- فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فأجابهم النبي عن صفات هؤلاء بقوله: (كانوا لا يكتوون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون) هذه من صفاتهم مع تقواهم لله وإيمانهم بالله واستقامتهم على دينه، فهم مع هذا (لا يسترقون) لا يسألون الناس أن يرقوهم، (ولا يتطيرون) لا يتشاءمون، (ولا يكتوون) لا يتعالجون بالكي وعلى ربهم يتوكلون. (ينظر: الفتح لابن حجر (١٠/١٥٥)، (١٠/١٩٥)، (١١/٣٠٥)، (١١/٤٠٦)، (١١/٤١٣)).

رابعا: مما يستفاد من الحديث غير ما سبق:

١- الفرق بين المسترقي والراقي:

(لا يسترقون) أي لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم. هكذا ثبت في «الصحيحين» وفي رواية لمسلم زيادة: «ولا يرقون».

قال شيخ الإسلام: هذه الزيادة وهم من الراوي، لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: لا يرقون، لأن الراقي محسن إلى أخيه. وقد قال صلى الله عليه وسلم. وقد سئل عن الرقى. قال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»، وقال: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا». قال: وأيضا فقد «رقى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم»، «ورقى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه».

قال: والفرق بين الراقي والمسترقي: أن المسترقي سائل مستعطٍ ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن. قال: وإنما المراد وصف السبعين ألفًا بتمام التوكل، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم، وأن هذا لا ينافي أصل توكلهم. (المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية: ١/١٨).

فيستبعد أن يكون من صفات السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب أنهم لا يرقون!

وقال: العلة أن الراقي يحسن إلى الذي يُرقَى، فكيف يخرج من السبعين ألفاً وهو محسن؟!

والله يقول: «مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ» (التوبة:٩١)، وقال جل وعلا: «هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ» (الرحمن:٦٠).

هذا، وعلة عدم الاسترقاء قد تكون:

أولاً: لقوة اعتمادهم على الله عز وجل لا يطلبون من أحد رقيةً؛ لأنهم يعتمدون على الله اعتماداً تاماً.

ثانياً: أو لعزة نفوسهم عن التذلل لغير الله، لا يريدون أن يذلوا أنفسهم لغير الله

ويلجأوا إلى بشر.

ثالثاً: أو لا يريدون أن يفتحوا على أنفسهم أيَّ باب تعلق بغير الله.

هذا، وإن كان جواز الاسترقاء محل خلاف بين العلماء إلا أن الحاصل أن الرقية في حد ذاتها ليست ممنوعة، بل مشروعة، فلا مانع لصاحب العقيدة الصحيحة أن يرقي ويسترقي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اعرضوا علي رقاكم، ولا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً).

وقد وفق النووي في شرح مسلم بين من أباح الاسترقاء ومن منعه؛ فقال: (إن جبرائيل رَقَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ الأَحَادِيثَ بَعْدَهُ فِي الرُّقَى، وَفِي الْحَدِيث الآخَر فِي الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَاب لاَ يَرْقُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَدْ يظن مخالفة لهذه الأحاديث ولا مخالفة، بَلِ الْمَدْحُ فِي تَرْك الرُّقَى الْمُرَادُ بِهَا الرُّقَى الَّتِي هِيَ مِنْ كَلاَم الْكُفَّار وَالرُّقَى المجهولة، والتي بغير العربية، وما لا يُعْرَفُ مَعْنَاهَا؛ فَهَذِه مَذْمُومَةٌ لاحْتمَالِ أَنَّ مَعْنَاهَا كُفْرٌ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ أَوْ مَكْرُوهٌ، وَأَمَّا الرقى بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهى فيه بَلْ هُوَ سُنَّةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ فِي الْجَمْع بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ: إِنَّ الْمَدْحَ فِي ترك الرقى للأفضلية، وَبَيَان التَّوَكُّلِ وَالَّذِي فَعَلَ الرُّقَى وَأَذِنَ فِيهَا لِبَيَانِ الْجَوَاز مَعَ أَنَّ تَرْكَهَا أَفْضَلُ، وَبِهَذَا قَالَ ابن عَبْد الْبَرِّ، وَحَكَاهُ عَمَّنْ حَكَاهُ وَالْمُخْتَارُ الأَوَّلُ، وَقَدْ نَقَلُوا بِالإِجْمَاع عَلَى جَوَاز الرُّقَى بِالآيَات وَأَذْكَار اللَّه تَعَالَى، قَالَ الْمَازِرِيُّ: جَمِيعُ الرُّقَى جَائِزَةٌ إِذَا كَانَتْ بِكِتَابِ اللَّه أَوْ بِذِكْرِه، وَمَنْهِيٌّ عَنْهَا إِذَا كَانَتْ بِاللُّغَة الْعَجَمِيَّة أَوْ بِمَا لاَ يُدرى مَعْنَاهُ؛ لِجَوَاز أَنْ يَكُونَ فِيه كُفْرٌ، وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ بَعْدَ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «اعْرِضُوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يَكُنْ فِيهَا شَيْءٌ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الرِّوَايَة الأخرى يا رسول اللَّه؛ إِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى؟ فَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ عنه بِأجوبة؛ أحدها كان نهى أولاً، ثم نَسَخَ ذَلِكَ، وَأَذِنَ فِيهَا وَفَعَلَهَا، وَاسْتَقَرَّ الشَّرْعُ عَلَى الإِذْن، وَالثَّانِي أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الرُّقَى الْمَجْهُولَةَ كَمَا سَبَقَ، وَالثَّالِثُ أَنَّ النَّهْيَ لِقَوْم كَانُوا يَعْتَقِدُونَ مَنْفَعَتَهَا وَتَأْثِيرَهَا بِطَبْعِهَا كَمَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَزْعُمُهُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَة.

أَمَّا قَوْلُهُ فِي الْحَدِيث الآخَر: «لا رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَة». فَقَالَ الْعُلَمَاءُ: لَمْ يُرِدْ بِه حَصْرَ الرُّقْيَة الْجَائِزَة فيهمَا وَمَنْعَهَا فِيمَا عداهما وإنما المراد لا رقية أَحَقُّ وَأَوْلَى مِنْ رُقْيَة الْعَيْنِ وَالْحُمَّة لِشِدَّة الضَّرَرِ فِيهِمَا) انتهى (شرح النووي: ١٤/ ١٦٨).

٢- (ولا يتطيرون) التطير: التشاؤم بمعلوم، إما مرئي أو مسموع أو زمان أو مكان، أصله من الطير؛ لأن العرب كانت تتشاءم بالطيور، حتى لو أراد الإنسان منهم عملاً كسفر أو بيع أو زواج ونحو ذلك؛ أمسك طيراً فأطلقها، فإن ذهبت يميناً قال: هذا خير وبركة، وأقدم عليه، وإن ذهبت شمالاً قال: هذا شؤم وشر فتركه.

٣- لا يكتوون: يقول ابن عثيمين رحمه الله: لا يكتوون، أي لا يطلبون من أحد أن يكويهم؛ لأنهم لا يريدون أن يستذلوا لأحد لا بالرقية ولا بالكي. أما (لا يكوون) فهذا لا يضر بل هذا من الإحسان، وقد كوى النبي عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ في أكحله، فهناك فرق بين الذي يكوي وبين الذي يكتوي، الذي يكتوي هو الذي يطلب الكي، وأما الذي يكوي فهو الذي يفعله بغيره). انتهى.

وللبحث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الفكر الإسلامي

إعداد/ **د. أحمد منصور سبالك**

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

هل يجوز الفكر في الثوابت؟!

ستجد من يقول لك: التفكير فريضة قرآنية تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من وظائف، بجميع خصائصها ومدلولاتها، فالقرآن يخاطب العقل المدرك، العقل الحكيم، والعقل الرشيد.

بل وستجد من يزيدك فلسفة، ويقول: إنك ذكرت في مقالك السابق قوله تعالى: «وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل:٤٤). ويزيدك فلسفة ويُفسِّر الآية بقوله: التفكير في الكتاب والسنة.

فأقول: لا جرم أن التفكير فريضة في الإسلام، فهذا من المسلمات، لكن أين يقع الفكر؟

أذكرك بأن للفكر مصادر يستطيع الإنسان من خلالها أن يجعل آلية الفكر منبعها هذه المصادر وعليه تكون صلة الآية: «أفلا يتفكرون» بالقرآن وبالسنة.

والباء هنا للمصاحبة أي: التفكير يكون بمصاحبة القرآن وبمصاحبة السنة وليست الباء هنا بمعنى في: فيكون المعنى كما ذكر المتفلسف سابقًا، فلا مجال للتفكير في الوحي الشريف بين القبول والرفض.

ولهذا كان الخطاب المتكرر في القرآن للعقل المدرك الذي يفهم ويقوم بعملية الوعي وهما أعمق من مجرد الإدراك فحسب.

فالعقل الإنساني وسيلة موصِلة إلى الحق، ولو لم يكن كذلك لما احتفل به القرآن وذكره كثيرًا في آياته، وما كان هذا التكرار إلا تقديرًا للعقل.

وهذا الطريق الدقيق المسالك تحف به جُملة من الأخطار تهدد تبعاته العقل عن إصابة الحق، فالإنسان خُلق عجولاً مما قد يعرِّضه لتعجل المراحل في النظر العقلي.

فعندما يختار العقل مصادر وآليات غير صحيحة، بالتالي ستكون نتيجة إدراكه غير صحيحة.

وهنا أسئلة تفرض نفسها:

نسمع من كثير من الذين يُسمون بـ«المفكر الإسلامي»، ونجده ينكر السنة النبوية مثلاً، أو آيات من كتاب الله تعالى، وكل ذلك بدعوى الفكر، والتفكير فريضة قرآنية.

والعجب كل العجب أن يُقدح في القرآن بدعوى أن التفكير فريضة قرآنية.

أو أن نقدح في السنة النبوية بدعوى أن الدين هو من دعانا للتفكير.

فديننا يأمرنا بألا نضع الوحي الشريف، أو حتى ثوابت هذا الوحي مجالاً للفكر بين القبول والرفض، وسأمثل لك بمثال؛ لأنه بالمثال يتضح المقال:

اتفق العقلاء أن الأخلاق لها أصول، أصول للفضائل وأصول للرذائل، والأخلاق كلمة جمع مفردها (خُلق)، وهو الطابع الذي يخرج من الإنسان دون أن ينكر؛ أيخرجه أم لا؟!

بل واتفق علماء الأخلاق في الغرب أن المكان الذي يحدد لنا أصول الأخلاق من فضائل ورذائل هو مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، مما اعتبره كفار مكة قبل البعثة من أصول الفضائل أو أصول الرذائل فهو كذلك، ونبينا أعلن ذلك في حديثه- أيضًا-: «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ولا يكون التمام إلا عند وجود الأصل التي تقوم عليه، وقال بعض شراح الحديث: الإتمام بمعنى الإقرار.

وبهذا ينعقد الاتفاق على أن الأخلاق الحميدة كالشجاعة والكرم.. إلخ، من الأخلاق الحميدة في شتى بقاع الأرض، فلن يخرج علينا من يفكر في ذلك أبدًا.

وكذلك الأخلاق السيئة أيضًا.

وأيضًا أيها القارئ الكريم لا يسوغ أن تضع باقي الثوابت من عقائد وأركان وقطعيات ومقاصد في ميزان الفكر، حيث القبول والرفض.

إن كان هذا في ثوابت الدين، فما بالكم مصادر هذه الثوابت؛ الوحي الشريف: القرآن الكريم، والسنة النبوية.

هل يسوغ لنا أن يكون الوحي مجالاً للفكر، رهن القبول والرفض؟!

هذا ما سنجيب عليه في مقالنا القادم بإذن الله تعالى، مع بيان كيف وضعوا الوحي الشريف مجالاً للفكر مع الرد عليهم.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

القسم الثاني

الحلقة (٥٥)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٥٠٠- "إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا صَيَّرَ حوائجَ النَّاسِ إليه".

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (١/ ٩٤ - زهر الفردوس) قال: أخبرنا أبي، حدثنا سليمان بن إبراهيم الحافظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن جعفر الحافظ، أخبرنا أبو سعيد الحسين بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الأصبهاني، حدثنا يحيى بن شبيب، حدثنا حميد الطويل عن أنس مرفوعًا، وعلته يحيى بن شبيب اليماني، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢٨/٣): «لا يجوز الاحتجاج به بحالٍ، يروي عن الثوري ما لم يحدِّث به قط». اهـ. وقال الحافظ الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٧٤٩٤/٢٠٦/١٤): روى أحاديث باطلة. اهـ. ثم أورده الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٥٤٣/٣٨٥/٤): وأقر أقوال الأئمة التي أوردناها في يحيى بن شبيب، ثم ذكر له أحاديث باطلة مكذوبة موضوعة.

٥٠١- "إنّ للهِ تعَالَى مَلائِكَةً مُوَكَّلِينَ بِأَبْوَابِ الْجَوَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَسْتَغْفِرُونَ لأَصْحَابِ الْعَمَائِمِ الْبِيضِ".

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧٤٩٤/٢٠٧/١٤): عن يحيى بن شبيب اليماني، حدثنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك مرفوعًا، وعلته يحيى بن شبيب، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٥٤٣/٣٨٥/٤): «هذا من الأحاديث التي وضعها يحيى بن شبيب على حميد الطويل»، وهو من الأحاديث الباطلة التي رواها يحيى بن شبيب كما بينا آنفا.

٥٠٢- "إن في الجنة بابًا يقال له: الضحى، لا يدخل منه إلا مَن حافظ على صلاة الضحى".

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الخطيب في «التاريخ» (٧٤٩٤/٢٠٧/١٤) من طريق يحيى بن شبيب اليماني، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش مرفوعًا، وعلته يحيى بن شبيب، وقد بينا آنفًا أنه يروي عن الثوري ما لم يحدِّث به قط، لا يجوز الاحتجاج به بحال، وأنه يروي أحاديث باطلة.

٥٠٣- "أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَنَاوَلَنِي جِبْرِيلُ تُفَّاحَةً، فَانْفَلَقَتْ مِنْ يَدِي، فَخَرَجَتْ مِنْهَا جَارِيَةٌ كَأَنَّ أَشْفَارَ عَيْنَيْهَا مَقَادِمُ النُّسُورِ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: لِلْخَلِيفَةِ الْمَقْتُولِ بَعْدَكَ ظُلْمًا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ".

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢٩/٣) من طريق يحيى بن شبيب عن الثوري عن حميد الطويل عن أنس بن مالك مرفوعًا، وعلته يحيى بن شبيب اليماني يروي

عن الثوري ما لم يحدث به قط، لا يجوز الاحتجاج به بحال، والحديث أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٥٤٣/٣٨٥/٤) وقال: «هذا كذاب».

٥٠٤- " مَن صلَّى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بُنِي له قصرٌ في الجنة، وكأنما تصدَّق على كل مؤمن ومؤمنة، وتبرأ من اليهود، وكان حقًّا على الله أن يغفر له ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٠١/١) من حديث أنس مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٥٠٥- " التَّاجِرُ الصَّدُوقُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ القيامة ".

الحديث لا يصح: أخرجه قوامُ السُّنة الأصبهاني في «الترغيب والترغيب» (ح٧٩٤) قال: أخبرنا عبد السلام بن محمد ببغداد، أنبأنا عبد الجبار بن أحمد، قال: حدثني أبو بكر محمد بن إبراهيم بن الحسن المؤذن بخان النجاد، حدثنا أبو جعفر محمد بن عمر أبو حفص الضرير، حدثنا يحيى بن شبيب، حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وعلته يحيى بن شبيب، ولقد بينا حاله آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل، وأنه يضع الأحاديث على حميد الطويل، ويروي الأحاديث الباطلة، لا يجوز الاحتجاج به بحال، ويروي عن الثوري ما لم يحدث به قط، وقال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣٢١/٦) (٩١٥٧/٨٣): «وقال الحاكم، وأبو سعيد النقاش، وأبو نعيم: يروي عن الثوري وغيره أحاديث موضوعات». اهـ.

٥٠٦- " الوضوء على الوضوء نورٌ على نورٍ ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٣٤/١) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٥٠٧- " كانَ إذَا نَظَرَ إِلَى الْهِلال، قال: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هِلال يُمْنٍ وَرُشْد، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ فَعَدَلكَ، تَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٦٤٣) من حديث أنس مرفوعًا، وعلته أحمد بن عيسى الخشاب نقل الذهبي في «الميزان» (٥٠٨/١٢٦/١) أن ابن طاهر قال: «كذاب يضع الحديث». اهـ، وأقره الحافظ ابن حجر في اللسان (٧٥٦/٢٦١/١)، ثم نقل أن مسلمة قال: «كذاب حدث بأحاديث موضوعة».

٥٠٨- " الأمناء عِنْدَ الله ثلاثة: أنَا، وجبريل، ومعاوية ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣١/١٩١/١) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا، وعلته أحمد بن عيسى الخشاب، وقد بينا آنفًا: أنه كذاب يضع الحديث، وقال ابن عدي: «هذا الحديث باطل». اهـ. وأورد هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٠٨/١٢٦/١) وقال: «هذا كذب».

منبر الحرمين

قيمة العقل في الإسلام

إعداد/ د/صالح بن عبد الله بن حميد
إمام المسجد الحرام

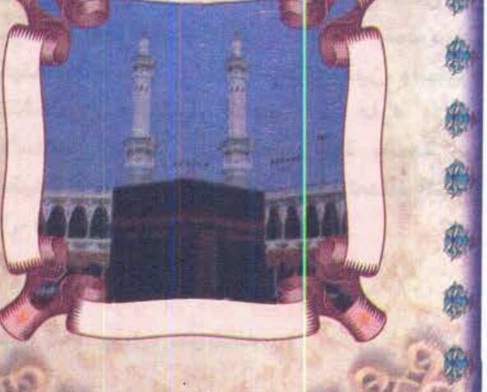

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلاَ مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُ الله ورسولُه.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١).

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد: فإنَّ أحسنَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد- صلى الله عليه وسلم-، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة.

تكريم الله للإنسان:

معاشرَ المسلمين: لقد كرَّمَ الله الإنسانَ وفضَّله على كثيرٍ ممن خلَقَ، خلقَه فأحسنَ خلقَه، وكرَّمَه بالاستعدادات التي أودعَها فطرتَه، هيئةً وفطرَةً تجمعُ بين الطين والنفخة، هيَّأ له من التسخير ما يقومُ به في وظيفة الاستخلاف والتعمير، (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الجاثية: ١٣).

وإن من أهمِّ مُهمات الاستخلاف والتعمير: إصلاحَ التفكير واستقامتَه، وضبطَ مسَاره في كل جوانب الحياة وميادينها، ومنزلةُ الإنسان وقوَّةُ تفكيره تظهرُ بقدرِ إعماله فكرَه، وحُسنِ تصرُّفه في عقله، ومدَى تحقيقه لما ينفعُه في دُنياه وآخرته.

فضائل العقل وأهميته:

العقلُ- حفظكم الله- هو أُسُّ الفضائل، وينبُوعُ الآداب، هو للدين أصلٌ، وللدنيا عماد، وليس أفضلَ من أن يهَبَ الله عبدَه عقلاً راجِحًا، وتفكيرًا مُستقيمًا.

العقلُ قوةٌ وغريزةٌ اختَصَّ الله بها الإنسانَ، وفضَّلَه بها على سائرِ مخلوقاته، العقلُ قوةٌ مُدركة تقومُ بوظائف كبرى، من ربطِ الأسباب بمُسبَّباتها، وإدراكَ الغائب من الشاهد، والكلياتِ من الجزئيات، والبدهيَّاتِ من النظريات، والمصالِح من المفاسد، والمنافعِ من المضار، والمستحسَنِ من المُستقبَح، وإدراكِ المقاصدِ وحسنِ العواقب.

العقلُ نورٌ من الله يُميِّزُ به الحقَّ والباطلَ، والخطأَ والصوابَ في الأقوالِ والأفعالِ والاعتقاداتِ والعلومِ والمعارف.

ومن اللطيفِ- معاشرَ الإخوة-: أن لفظَ العقل لم يرِد في القرآن الكريم، وإنما جاءَت مُشتقَّاتُه ومُرادفاتُه، كقوله- عزَّ شأنُه-: (مَا عَقَلُوهُ) (البقرة: ٧٥)، وقوله: (وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ) (الملك: ١٠)، وقوله- عزَّ شأنُه-: (وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ) (العنكبوت: ٤٣)، وقوله- تبارك وتعالى-: (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (النحل: ٦٧)، وقوله: (لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف: ٢)، (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأنعام: ٣٢)، (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (يس: ٦٨).

كما جاء من المُرادفات: (أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ) (البقرة: ٢٦٩)، وأولُو النُّهَى، (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ) (طه: ٥٤)، (لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ) (آل عمران: ١٩٠)، (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ) (ق: ٣٧)، (هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ) (الفجر: ٥).

ومما يلفتُ النظرَ- عبادَ الله-: أن القرآنَ الكريم ربطَ ربطًا واضحًا بين الأذنِ وحاسَّة السمع، والعَينِ وحاسَّة البصَر، والرِّجلِ وقُدرة المشْي، واليد وقوةَ البطش، في مثل قوله- عزَّ شأنه-: (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) (الأعراف: ١٩٥).

أمَّا العقلُ فلم يُربَط بشيءٍ من ذلك؛ بل ورَدَ باسم وظيفته المُدركة، وليس باسمه أو آلَته. وكأنَّ في هذا دلالةَ وإشارةً إلى أن العقلَ يُمثِّلُ مجموعَ أدوات الإدراك من سمعٍ وبصرٍ وفؤادٍ وقلبٍ وغيرها، فالعقلُ مُرتبطٌ بالإنسانِ كله، ومُنتظِمٌ لحواسِّه كلِّها، فهو ملَكةٌ وظيفيةٌ يرتبطُ وجودُها وعملُها بوجود أدواتها، وعلى قَدرِ حُسنِ توظيفِ الإنسان لهذه الأدوات يكون تعقُّلُه في الأمور، ونُضجُه في الإدراك، مما يتبيَّنُ معه ارتِباطُ العقلِ بالأحداث والتصرُّفات.

فالنظرُ العقليُّ عملٌ حيٌّ مُتحرِّكٌ له أبعادُه ومدلُولاتُه التي ترتبطُ بالأشخاص، والأزمان، والأحداث، وكلِّ حركاتِ الحياة والأحياء.

عبادَ الله: وقد جعَلَ الله إعمالَ العقل وحُسنَ استخدامه بيد الإنسان، فمن شاءَ فليتقدَّم، ومن شاءَ فليتأخَّر، ولا يكون إعمالُ العقل إلا في التفكيرِ والتذكُّر، والاعتبارِ والتدبُّر، والنظرِ والتبصُّر، والعلمِ والفقه، وكلُّ ذلك جاء الأمرُ به في كتابِ الله- عزَّ وجَل- فيه آياتٌ كثيرة، كقوله- عزَّ شأنه-: (وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) (الأنفال: ٢١)، وقوله- عزَّ شأنُه-: (وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ) (الملك: ١٠)، وقال تعالى: (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق: ٣٧).

العقل في الإسلام هو مَناطُ التكليف:

أيها المسلمون: وإذا كان ذلك كذلك، فإن العقلَ في الإسلامِ هو مَناطُ التكليف، ومحلُّ الفَهم، وبه استنباطُ الأحكامُ الشرعية وبيانُ مُرادِ الشارع، وبه حُسنُ التصرُّف في أمورِ الدينِ والدنيا.

والعاقلُ مُكلَّفٌ تكليفًا صريحًا بالنظرِ في ملكوت السماوات والأرض، وإدراكَ العلاقَات أسبابًا ومُسبَّبات، واكتسابِ العلوم، والنظر في المصالح والمفاسد، والمنافعِ والمَضار، والعدلِ والظلم، كلُّ ذلكَ من أجل أن يستَفيدَ من التسخير للقيامِ بمهمة التعمير.

والقرآنُ الكريم والسنةُ المُطهَّرة مليئَان بالدلائلِ البرهانية، والأقيِسة العقلية، وضربِ الأمثال، وحُسنِ الجدال، كلُّ ذلك حتى يتحرَّرَ العقلُ من تلبيسات الخرافة، وأساطيرِ الأولين، وتخرُّصات الكهنة والمنجمين، والسحَرةِ والمشعوذين، والطيَرة والمُتشائمين، والتقليدِ الأعمى لما عليه الآباءُ والأسلاف؛ لينطلِقَ إلى آفاقٍ رَحبَة واسعة من العقيدةِ الصافية، والعملِ الصالح، والعطاءِ المُنتج، قال- سبحانه-: (قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ) (النمل: ٦٤)، وقال- عزَّ شأنه-: (قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟) (سبأ: ٤٦)، وقال- عزَّ شأنه-: (فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا

﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ) (عبس: ٢٥- ٣٢)، وقال- عزَّ شأنه-: (أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) (ق: ٦-٨).

ارتباط العقل بالنقل:

معاشر المسلمين: وإن من أعظم مخزون أُمَّتنا الثقافي، وقضاياها العُليا: ارتباطَ العقل بالنقل، وترتيبَ العلاقة بين المعقول والمنقول، وإن فحولَ علماء الأمة وراسخيها، ويأتي في مُقدَّمهم شيخ الإسلام بن تيمية- قدَّس الله سرَّه، ورحمَ الله أهلَ العلم أجمعين- كلهم قرَّروا ودقَّقوا وبرهَنوا على موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، فلا تعارُض بين عقلٍ صريح ونقلٍ صحيح، فقضايا العقل الصريح خلقُ الله، وما جاء في النقل الصحيح شرعُ الله، فلا تناقضَ ولا تعارُضَ بين خلق الله وشرع الله، (صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) (النمل: ٨٨).

فالحقُّ لا يتناقَض، بل إنَّ الأمرَ كلما كان أفسَدَ في الشرع كان أفسَدَ في العقل، فتتطابقُ الدلائلُ القرآنية على البراهين العقلية، ويتصادَقُ مُوجَبُ الشرع والمنقول مع النظر والمعقول، والمؤمنُ كلما كان إلَى الرسولِ- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ أقرَب، كان إلى كمالِ التوحيد والإيمانِ والعقل والعرفان أقرَب، وكلما كان عنهم أبعَد، كان عن ذلك كلِّه أبعَد.

آثار العقل الرشيد:

أيها المسلمون: والعالمُ المُعاصر بعلومه وفنونه ومُكتشفاته ومخترعاته، ما أصابَ من خيرٍ ومنافِع فمن إعمالِ العقل، وما أصابَ من سُوءٍ ومفاسِد فمن حرية العبَث والهوَى، والبُعد عما جاء به المُرسَلون من الحقِّ والهُدى، ولا يجوزُ الخَلطُ بين الأمرين، وبنُو آدم بالعلم والعقل يرتَقُون إلى مصافِّ الملائكة الأطهار، كما قَال- عزَّ شأنه-: (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) (آل عمران: ١٨).

وبالشهوات والضلالات يكونونَ أضلَّ من الأنعام، كما في قوله- عزَّ شأنه-: (أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (الفرقان: ٤٣- ٤٤)، وقال- عزَّ شأنه-: (فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ) (النجم: ٢٩، ٣٠)، ويقولُ- جل وعلا-: (فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) (غافر: ٨٣).

وبعدُ.. عبادَ الله: فإنَّ الإنسانَ مسؤولٌ عن حفظه عقلَه، والله سائلُه عما استرعَاه في نظره وفكره، وحُسنِ استخدامه لذلك كلِّه، شأنُه في ذلك شأنُ كل النِّعم من عُمرٍ وصحَّة، ومالٍ وبنين، وحفظ حواسٍّ، وسلامة أجهزةَ، قال تعالى: (إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا) (الإسراء: ٣٦).

ومن أجلِ هذا فإنَّ ذا العقلِ السليم والمنهج المُستقيم يربأُ بنفسه عن الدنايا، وينأَى عن المُحقَّرات، ولا يَميلُ مع الهوَى، ولا يخضَعُ للعادات وما عليه الآباءُ والأسلافُ، ويتجنَّبُ العنادَ والمُكابَرةَ والمراء.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: (قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) (يونس: ١٠١).

حدود العقل وضوابطه:

أيها المسلمون: ومع مكانة العقلِ وكريم مقامه، فإنه آلةٌ ووسيلةٌ للفَهم، له حدودُه التي ليس له أن يتجاوزَها، فإن خرجَ عن حدوده وقعَ في الضلالِ والانحراف، ودخل في المعنيِّ بقوله- عزَّ شأنُه-: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ) (الأعراف: ١٧٩).

العقلُ بمُجرَّده لا يصلُحُ مرجعًا ولا ميزانًا، فعقولُ البشر مُتفاوتة في قوتها وضعفها وإدراكها واستيعابها، وإنَّ من الخطَل أن يخلطَ من يخلط، فيجعلَ عقلَه هو المرجع، فما يستنكرُه هوَاه أو رأيُه ورغَباتُه، يحسَبُ أن العقلَ هو الذي استنكرَه وأبَاه، وما قبِله فعنده أن العقلَ هو الذي قبلَه وارتضَاه، وقد علِمَ أن العقولَ مُختلفةٌ منازلُها، والحظوظ مُتفاوتةٌ إدراكاتُها.

وتأمَّلوا- رحمَكم الله- ما ورَدَ في الخبر: «تفكَّروا في خلق الله ولا تتفكَّروا في الله؛ فإنكم لن تقدُروا

قَدرَه».

قال أهلُ العلم: «وما ذلك إلا لأنَّ العقلَ البشريَّ لا يُدركُ ما كان خارجَ الصور التي يُحسُّها ويراها، والمُدركَات التي يعيشُها، أما الغيبُ وما وراء المحسُوس فلا يُدركُه العقلُ إلا بالخبَر الصادق، وإبراهيم- عليه السلام- أراه الله ملَكوتَ السماوات والأرض؛ ليكونَ من المُوقنين، وأراه كيفَ يُحيي الموتَى ليطمئنَّ قلبه، فحقائقُ الغَيب لا تُدرَكُ إلا بالخبَر الصحيح من الصادقِ المصدوق.

ألا فاتَّقُوا الله - رحمكم الله-، فالعقلُ مُصدِّقٌ للشرعِ في كلِ ما أخبَرَ به، دالٌ على صدقِ الرسالة، والعقلُ شرطٌ في معرفة العلوم وصلاحِ الأعمال، وبه يكمُلُ العلمُ والعملُ، ولكنه ليس مُستقلاً بنفسه، بل هو مُتَّصلٌ بنورِ الكتاب والسنة، ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (الشورى: ٥٢)، وإذا انفرَدَ العقلُ بنفسه لم يُبصِر، وإذا استقلَّ بذاته عجزَ عن الإدراكِ الصحيح.

هذا وصلُّوا وسلِّمُوا على الرحمةِ المُهداة، والنعمةِ المُسداة: نبيِّكم محمد رسولِ الله؛ فقد أمرَكم بذلك ربُّكم، فقالَ في مُحكَم تنزيله- وهو الصادقُ في قيله- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدِك ورسولك: نبيِّنا محمدٍ الحبيبِ المُصطفى، والنبيِّ المُجتبَى، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهاتِ المؤمنين.

وارضَ اللهم عن الخلفاءِ الأربعة الراشدين: أبي بكر، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بعفوك وجُودك وإحسانك يا أكرمَ الأكرمين.

اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمُشركين، واخذُل الطغاةَ، والملاحِدَة، وسائرَ أعداءِ المِلَّة والدين.

اللهم وفِّق ولاةَ أمورِ المسلمين للعملِ بكتابك، وبسنَّة نبيِّك محمد- صلى الله عليه وسلم-، واجعَلهم رحمةً لعبادك المؤمنين، واجمَع كلمتَهم على الحقِّ والهُدَى يا ربَّ العالمين.

اللهم وأصلِح أحوالَ المُسلمين، اللهم أصلِح أحوالَ المُسلمين في كل مكان، اللهم احقن دماءَهم، واجمَع على الحقِّ والهُدى والسنَّة كلمتَهم، وولِّ عليهم خيارَهم، واكفِهم أشرارَهم، وابسُط الأمنَ والعدلَ والرَّخاءَ في ديارِهم، وأعِذهم من الشُّرور والفتَن ما ظهَرَ منها وما بطَن.

اللهم من أرادَنا وأرادَ دينَنا وديارَنا وأمَّتنا وأمنَنا وولاةَ أمرِنا وعلماءَنا وأهلَ الفضلِ والصلاح والاحتساب منَّا ورجالَ أمنِنا وقوَّاتِنا ووحدتَنا واجتماعَ كلمتِنا بسوءٍ، اللهم فأشغله بنفسه، اللهم فأشغله بنفسه، واجعَل كيدَه في نحرِه، واجعَل تدبيرَه تدميرًا عليه يا رب العالمين.

اللهم يا وليَّ المؤمنين، اللهم يا وليَّ المؤمنين، ويا ناصرَ المُستضعَفين، ويا غياثَ المُستغيثين، يا عظيمَ الرجاء، ويا مُجيرَ الضعفاء، اللهم إنَّ لنا إخوانًا مُستضعَفين مظلومين في فلسطين، وفي بُورما، وفي أفريقيا الوُسطى، وفي ليبيا، وفي العراق، وفي اليمن، وفي سُوريا، قد مسَّهم الضُّرُّ، وحلَّ بهم الكَربُ، واشتدَّ عليهم الأمرُ، تعرَّضُوا للظُلم والطغيان، والتشريد والحصار، سُفكَت دماؤُهم، وقُتِّل أبرياؤُهم، ورُمِّلت نساؤُهم، ويُتِّمَ أطفالُهم، وهُدِّمَت مساكنُهم ومرافِقُهم.

اللهم يا ناصرَ المُستضعَفين، ويا مُنجيَ المؤمنين؛ انتصر لهم، وتولَّ أمرَهم، واكشِف كربَهم، وارفع ضُرَّهم، وعجِّل فرَجَهم، وألِّف بين قلوبهم، واجمَع كلمتَهم، اللهم مُدَّهم بمَدَدِك، وأيِّدهم بجُندِك، وانصُرهم بنصرك.

اللهم إنا نسألُكَ لهم نصرًا مُؤزَّرًا، وفرَجًا ورحمةً وثباتًا، وسدِّد رأيهم، وصوِّب رميَهم، وقوِّ عزائمَهم.

اللهم عليك بالطغاة الظالمين ومن شايَعَهم، ومن أعانَهم، اللهم فرِّق جمعَهم، وشتِّت شملَهم، ومزِّقهم كل مُمزَّق، واجعَل تدميرَهم في تدبيرهم يا رب العالمين.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

عباد الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، فاذكُروا الله يذكُركم، واشكُروه على نعمه يزِدكم، ولذكرُ الله أكبر، والله يعلمُ ما تصنَعُون.

قضاء حوائج الناس

الحلقة الأولى

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

الحوائج: ما يحتاجه الإنسان ليكمل به أموره.

ومن أمثلة قضاء حوائج الناس: نَفْعهمْ بمَا تَيَسَّرَ منْ علْم أَوْ مَال أَوْ مُعَاوَنَة أَوْ إشَارَة بمَصْلَحَةٍ أَوْ نَصيحَة، أو تَكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أو تَقْضِي عَنْهُ دَيْناً، أو تَطْرُدُ عنهُ جُوعاً أو..

عنْ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاس أَحَبُّ إلى الله؟، وَأَيُّ الأعْمَال أحبُّ إلى الله؟ فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: أحَبُّ النَّاس إلَى الله أنْفَعُهُمْ للنَّاس، وأحَبُّ الأعْمَال إلَى الله عَزَّ وجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ على مُسْلم، أوْ تَكْشفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ تَقْضي عَنْهُ دَيْناً، أوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعاً، ولأنْ أمْشيَ مَعَ أخي المُسْلم في حَاجَة أحَبُّ إليَّ من أن أعتكف في هَذَا المَسْجد شَهْراً، ومَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظاً ولوْ شاءَ أنْ يُمْضيَهُ أمْضَاهُ مَلأَ الله قَلْبَهُ رضًى يَوْمَ القيامة، ومن مشى مَعَ أخيه المُسْلم في حاجَته حَتَّى يُثْبتَها لهُ أثْبتَ الله تَعَالَى قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الأقْدَامُ». (السلسلة الصحيحة: ٩٠٦).

إعداد/ صلاح عبد الخالق

أولا: ثمار عاجلة في الدنيا:

أبشر يا من تقوم بقضاء حوائج الناس ونفعهم بقدر استطاعتك بثمار عاجلة فورية تراها أمام عينيك تحس بها وتسعد بها في الدنيا منها:

أولا: محبة الملك عز وجل:

في الحديث السابق: «أحَبُّ النَّاس إلَى الله أنْفَعُهُمْ للنَّاس، وأحَبُّ الأعْمَال إلَى الله عَزَّ وجَلَّ سُرُورٌ تُدْخلُهُ على مُسْلم، أوْ تَكْشفُ عنهُ كُرْبَةً أوْ تَقْضي عَنْهُ دَيْناً أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعاً».

ثانيا: تشريف الله لك:

شرف عظيم أن جعلك الله تعالى تقوم بقضاء حوائج الناس ونفعهم، فعَنْ ابْن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ لله أقوامًا يَخْتَصُّهُمْ بالنِّعَم لمَنَافع العبَاد، وَيُقرُّهَا فيهمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا منْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إلَى غَيْرهمْ». (صحيح الجامع: ٢١٦٤).

ثالثا: تجارة مع الله تعالى بالملايين:

قَالَ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: (ولأنْ أمْشيَ مَعَ أخي المُسْلم في حاجَة أحَبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المَسْجد شَهْرًا). سبحان الله العظيم مجرد المشي مع أخيك المسلم لقضاء حاجة له، أو تحاول حل مشكلة له قُضيت أم لم تُقض أحب إليه صَلى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ من الاعتكاف في مسجده شهرًا كاملاً.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «صَلاَةٌ في مَسْجدي هَذَا أَفْضَلُ منْ أَلْف صَلاَة فيمَا سوَاهُ، إلاَّ المَسْجدَ الحَرَامَ» (رواه البخاري ١١٩٠، ومسلم ١٣٩٤).

المسجد النبوي الصلاة فيه بألف صلاة، فشخص يعتكف شهراً في المسجد النبوي سيصلي (١٥٠) صلاة تقريبا، والاعتكاف ليس فيه (١٥٠) صلاة فقط، بل فيه تسبيح وتهليل وأجر الاعتكاف نفسه فكم سيكون الأجر؟ أجر هائل، اعتكاف في المسجد النبوي فيه (١٥٠) صلاة، وتسبيح بعد كل صلاة، وذكر لله والصلوات التي تكون بين الأذان والإقامة وأجر الاعتكاف نفسه، وقراءة القرآن، أجر هائل جدًا وعظيم لا يُتصور! تمشي مع أخيك المسلم في حاجته، فتأخذ أكثر من أجر الاعتكاف في المسجد النبوي شهراً، فهذه المسألة تحتاج إلى تفكير؛ لأن تصورها صعب. (دروس للشيخ محمد المنجد: ٩/٧٠).

رابعًا: سداد ديونك اليومية:

اعلم جيدًا أنه عليك في كل يوم ديون عليك سددها!

أ- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلاَمَى منَ النَّاس عَلَيْه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْم تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدلُ بَيْنَ الاثْنَيْن صَدَقَةٌ، وَيُعينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّته فَيَحْملُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ،

وَالكَلمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (رواه البخاري: ٢٩٨٩، ومسلم: ١٠٠٩).

ب- عن عَائشَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمَائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمِدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمَائَةِ السُّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ» (رواه مسلم: ١٠٠٧).

(كل سلامى) أي: مفصل، والإنسان فيه ثلاثمائة وستون مفصلاً، فأنت تتصدق بصدقة عن كل مفصل، يعني: كل يوم ثلاثمائة وستون صدقة تخرجها لله سبحانه وتعالى شاكراً له حامداً على ما أخذت من النعم، وتعرف النعم حين ترى المريض، أو ترى رجلاً يده مشلولة، لا يعرف كيف يحركها، أو لا يستطيع أن يرفع اللقمة إلى فيه، وبذلك تعرف نعمة الله عز وجل عليك، فيفترض عليك أن تشكر الله على كل مفصل. لكن يَصعب على الإنسان أن يَتصدق عن كل مفصل على حدة، ولذلك علمنا النبي صلى الله عليه وسلم ما هو أسهل من ذلك: (تعدل بين اثنين صدقة) يعني: حين تُصلح بين الاثنين بالعدل فهذا من الصدقة. (تُعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة) حين تُعين الإنسان في حمل متاعه على دابته، لك في ذلك أجر وتدل الرجل على طريقه وتهديه صدقة، وتعين الأعمى وتدله على الطريق صدقة، وتعين الأخرق الذي لا يقدر على صنع الشيء الذي في يده صدقة. (شرح رياض الصالحين، حطيبة: ٤/٨).

خامسا: علاج همومك ومشكلاتك:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّه عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّه عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّه فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ....» (صحيح مسلم: ٢٦٩٩).

هذا حَدِيثٌ عَظِيمٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْآدَابِ، وَفِيهِ: فَضْلُ قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ وَنَفْعِهِمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ مُعَاوَنَةٍ أَوْ إِشَارَةٍ بِمَصْلَحَةٍ أَوْ نَصِيحَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. (شرح النووي: ١٧/٢١).

ب- عن عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّه فِي حَاجَتِهِ» (رواه البخاري ٢٤٤٢، ومسلم: ٢٥٨٠).

اللَّه في عَوْن العَبْد وحاجته ما كَانَ العَبْدُ في عَوْن أَخيه:

- الجـزاء من جنس العمل كما يسَّرت وسهَّلت وقضيت مصالح الناس ونفعتهم يُيسر الله عليك كل عسير يُقابلك من حيث لا تدري فتجد إنسانًا تعرفه أو لا تعرفه سخَّره الله تعالى لك يقوم بحل مشاكلك، ويقضي لك مصالحك؛ لقوله صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: (وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ) أَيْ: سَهَّلَ عَلَى فَقِيرٍ، وَهُوَ يَشْمَلُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، أَيْ: مَنْ كَانَ لَهُ دَيْنٌ عَلَى فَقِيرٍ فَسَهَّلَ عَلَيْهِ بِإِمْهَالٍ أَوْ بِتَرْكِ بَعْضِهِ أَوْ كُلِّهِ (يَسَّرَ اللَّه عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أَيْ: فِي الدَّارَيْنِ.

(مرقاة المفاتيح: ١/٢٨٦).

قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ) (الليل: ٥- ٧).

والأمثلة على ذلك لا تُحصى منها:

١- مثال من القرآن العظيم قال تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) (القصص: ٢٣- ٢٧).

عندما وصل موسى عليه السلام إلى مدين هاربًا من بطش فرعون وجد بئرًا يسقي الناس منه مواشيهم ووجد امرأتين تقفان بعيداً عن الرجال

بمواشيهم فسألهما عن السبب فرق لحالهما فسقى لهما لوجه الله تعالى فجاء الفرَج سريعًا من عند الله تعالى: «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا»؛ بيسر اللهَ على موسى عليه السلام فشعر بالأمان وتزوج ابنة الرجل الصالح.

٢ - قصة وعبرة:

حكى أحد الدعاة ذلك فقال: اقترب مني أستاذ جامعي وقال لي: والله إني منذ سنتين وأنا أسافر إلى لندن لأتعالج؛ لأني أعاني من مرض في القلب، جلست في يوم من الأيام مع صاحب لي إلى جوار رجل يعمل جزارا، ونظرت فرأيتُ امرأة كبيرة فقيرة إلى جوار هذا الجزار الذي يبيع اللحم، تنقب عن قطعة لحم على الأرض أو على عظمة صغيرة، فشد انتباهي هذا المشهد، وناديت على المرأة وقلت لها: سبحان الله! ماذا تصنعين تبحثين عن قطع اللحم النيئ المرمي على الأرض؟ فقالت: والله إن أبنائي في شوق لقطعة من اللحم وما ذاقوا اللحم منذ ستة أشهر فبكيتُ وقمت على الفور، وقلت لهذا الجزار: يا أخي! هذه المرأة ستأتيك في كل أسبوع فأعطها من اللحم ما تريد، وأنا أحاسبك على كل ما تأخذه عاماً بعام، فقالت المرأة: أحتاج إلى كيلو واحد فقط، فقال هذا الرجل: كلا. بل أعطها اثنين، فسعدت المرأة وبكت، ورفعت رأسها إلى السماء، وتضرعت بالدعاء، وأخرج الرجل من حافظة نقوده مبلغاً من المال ليكفي هذه المرأة عاماً بكامله، وعادت المرأة إلى بيتها سعيدة، وسعد الأبناء بهذا اللحم الوفير.

وعاد الرجل إلى بيته، دخل ووجهه يتلألأ، يشعر بشيء غريب في جسده كله، فقالت له زوجته: ما شاء الله! أراك نشيطاً، وقالت له ابنته: ما الذي غير وجهك يا أبي؟! فقص عليها القصة فبكت الأم وبكت البنت، وقالت البنت: أسأل الله يا أبي! أن يسعدك بشفاء مرضك كما أسعدت هذه المرأة الفقيرة وأولادها.

يقول: بعد أيام قليلة بدأت أشعر بتحول كامل في بدني كله. يقول: وبالرغم من ذلك أصر الأحبة أن أسافر إلى لندن لأجري الجراحة. فلما ذهب إلى هنالك، ونام بين يدي طبيبه الخاص، صرخ طبيبه وقال: عند أي الأطباء في مصر قد أجريت جراحتك؟ قال: لقد تاجرت مع الله فأغناني الله وشفاني.

سادسا: كلاَّ والله ما يُخزيك الله أبدا:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: «وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: «ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ» (العلق: ١- ٣)، «فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. (صحيح البخاري: ٣).

هذه الزوجة الصالحة تقف بجوار زوجها في أصعب الأمور، وتقسم بالله أنه لا يُخزيك أبدًا؛ بسبب نفعك للناس من صلة الأرحام وكفالة الأيتام وإكساب المعدومين، وتعين أصحاب الحاجات من الفقراء.

سابعا: حُسن الخاتمة:

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ». (صحيح الجامع: ٣٧٩٦).

المعروف هو ما يُسديه العبد لأخيه من خير فيقيه مصارع السوء أي: يُحفَظ منها، فصانع المعروف يُختم له بخاتمة حسنة، ومن يُختم له بذلك يكون عند موته بأحسن حال. (مجلة البحوث الإسلامية: ٨٧/٢٢٣).

نسأل الله أن يعيننا على الإحسان وبذل المعروف وأن يقينا شح أنفسنا؛ إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

باب
الفقه

أحكام الصلاة

الأشياء التي ورد النهي عنها في الصلاة

العمل الكثير في الصلاة (١)

إعداد/ **د. حمدي طه**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: انتهيت في الحلقة السابقة من الحديث عن النهي عن الكلام في الصلاة، وما يتعلق به من أحكام، وفي هذه الحلقة نبدأ بالحديث عن شيء آخر من الأشياء التي ورد النهي عنها في الصلاة، وهو العمل الكثير في الصلاة.

إن الصلاة أقوال وأفعال، وإنها كلها لله رب العالمين، فينبغي أن لا يُفعل فيها إلا ما هو مشروع من أفعال الصلاة وما جاءت النصوص باستثنائه فيباح، وما سوى ذلك فهو حرام، ويدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم: «مفتاح الصلاة الطُهور، وتحريمُها التكبير، وتحليلها التسليم». رواه أحمد والترمذي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فالتكبير للصلاة يجعل كل قولٍ وكلَّ فعلٍ غير مشروع في الصلاة حراماً.

وقد اتفق الفقهاء على بطلان الصلاة بالعمل الكثير المتوالي، ولو سهواً؛ لأن الحاجة لا تدعو إليه، واختلفوا في حده. فذهب الحنفية إلى أن العمل الكثير الذي تبطل الصلاة به هو ما لا يشك الناظر في فاعله أنه ليس في الصلاة. قالوا: فإن شك أنه فيها أم لا فقليلٌ، وهذا هو الأصح عندهم، وقيدوا العمل الكثير ألا يكون لإصلاحها. (انظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين ابن نجيم ٢/١٢).

وَذَهَـبُ المَالكيَّة إلَـى أَنَّ الصلاة تبطل بالفعل الكثير عمداً أو سهواً كحك جسد، وعبث بلحية، ووضع رداء على كتف، ودفع مارّ وإشارة بيد. ولا تبطل بالفعل القليل أو اليسير جداً كالإشارة وحك البشرة، أما المتوسط بين الكثير والقليل، كالانصراف من الصلاة، فيبطل عمده دون سهوه. (انظر حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٢/٨١).

وذهب الشافعية والحنابلة إلى أن المرجع في معرفة القلة والكثرة هو العرف، فما يعده الناس قليلاً فقليل، وما يعدونه كثيرًا فكثيرٌ، فعند الشافعية: الخطوتان المتوسطتان، والضربتان، ونحوهما قليل، والثلاث من ذلك أو غيره كثيرٌ إن توالت. سواءٌ أكانت من جنس الخطوات، أم أجناسٌ: كخطوة، وضربة، وخلع نعل. وسواءً أكانت الخطوات الثلاث بقدر خطوة واحدة أم لا. وصرحوا ببطلان الصلاة بالفعلة الفاحشة ؛ كالوثبة الفاحشة لمنافاتها للصلاة، وعلى ذلك فالأفعال العمدية عندهم تبطل الصلاة ولو كانت قليلةً، سواءٌ أكانت من جنس أفعال الصلاة أم من غير جنسها.

أما السهو فإن كانت الأفعال من غير جنس الصلاة فتبطل بكثيرها ؛ لأن الحاجة لا تدعو إليها، أما إذا دعت الحاجة إليها كصلاة شدة الخوف فلا تضر ولو كثرت. أما إذا كانت الأفعال من جنسها- كزيادة ركوع أو سجود سهوًا- فلا تبطل ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسًا وسجد للسهو، ولم يعدها أخرجه البخاري. (انظر مغني المحتاج للخطيب الشربيني ١/١٩٩).

وعند الحنابلة: لا يتقدر اليسير بثلاث ولا لغيرها من العدد، بل اليسير ما عده العرف يسيرًا ؛ لأنه لا توقيف فيه فيرجع للعرف كالقبض والحرز. (انظر كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي ١/٣٧٧).

وأرجح الأقوال في ذلك مذهب الحنابلة لأنه لم

يرد نص يفرق بين القلة والكثرة وما كان كذلك فمرجعه للعرف، والقاعدة المعروفة: أنَّ كُلُّ مَا وَرَدَ به الشَّرْعُ مُطْلَقًا، وَلاَ ضَابِطَ لَهُ فيه، وَلاَ فِي اللُّغَة، يُرْجَعُ فِيهِ إِلَى الْعُرْفِ، فالكثير: بحسب عُرف النَّاس، فإن قالوا: هذا كثيرٌ، صار كثيراً، وإن قالوا: هذا قليلٌ، صار قليلاً.

وقد قسَم بعض أهل العلم الحركة في الصلاة إلى ثلاثة أقسام مستفادة من الأدلة وهي:

١. حركة مأمور بها، وهي كل حركة تتوقف عليها صحة الصلاة، أو كمالها، فالأول حركة واجبة، وهي التي يتوقف عليها صحة الصلاة كما لو رأى على غطاء رأسه أو عباءته نجاسة فألقاها، وكما لو استدار إلى القبلة لما تبين له الصواب، ومن أدلة ذلك ما ورد في «الصحيحين» من استدارة الصحابة رضي الله عنهم إلى الكعبة لما أخبروا بتحويل القبلة إليها فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا "بَيْنَا النَّاسُ يُصَلُّونَ الصُّبْحَ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ إِذْ جَاءَ جَاءٍ فَقَالَ: أَنْزَلَ اللَّه عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْآنًا أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا فَتَوَجَّهُوا إِلَى الْكَعْبَةِ".

وقد ورد في «الصحيحين» أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم أدار ابن عباس من ورائه إلى يمينه لما وقف عن يساره فعَنْ ابْنِ عَبَّاس قَالَ: "بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِه فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قَامَ، ثُمَّ قَالَ "نَامَ الْغُلَيِّمُ" أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا، ثُمَّ قَامَ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ"، وهذا على القول بعدم صحة الصلاة عن يسار الإمام مع خلو يمينه.

والثاني حركة مستحبة: وهو ما يتوقف عليه كمال الصلاة، كالتقدم إلى مكان فاضل، كسدِّ فرجة في الصف، وكما لو حصل بينه وبين جاره فرجه ثم تحرك لسدها أو تَحَرُّك لتسوية الصف، فهذه مأمور بها لكمال الصلاة.

٢- حركة منهي عنها: فإن كانت كثيرة متوالية لغير حاجة فهي مبطلة للصلاة. على ما تقدم- وإلا فهي مكروهة، وهي كل حركة يسيرة لغير حاجة، كما عليه كثير من الناس من العبث بالساعة أو النظر إليها أو تسوية غطاء الرأس أو العبث باللحية، ونحو ذلك، فكل ذلك مكروه؛ لأنه ينافي الخشوع في الصلاة، فإن كَثُر وتوالى فهو محرم مبطل للصلاة.

٣ ـ حركة مباحة، وهي اليسيرة لحاجة أو الكثيرة للضرورة، فالأولى كما في حديث أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وإذَا قَامَ حَمَلَهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَلِمُسْلم: وَهُوَ يَؤُمُّ النَّاسَ فِي الْمَسْجِد، والكثيرة للضرورة كما في حالة الخوف إذا لم يتمكنوا معه من أداء الصلاة على الوجه المطلوب فإنهم يصلون وهم مشاة على أرجلهم أو راكبون على خيولهم، قال تعالى: « فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا » (البقرة: ٢٣٩)، ومن الحركة المباحة أن يحك جسده أو يصلح إزاره إذا استرخى. (منحة العلام في شرح بلوغ المرام لعبد الله بن صالح الفوزان ١/٣٠٨ بتصرف). وقد حث الشرع على الخشوع في الصلاة ورغَّب فيه، وبيَّن فضله في العديد من النصوص؛ نذكر منها قوله عزَّوجلَّ «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ » (المؤمنون: ١، ٢). وقوله تعالى «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ㊺ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » (البقرة: ٤٥، ٤٦).

وعن عثمان رضي الله عنه « ... فدعا بوَضُوءٍ فقال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: ما من امرئ مسلم تحضره صلاةٌ مكتوبةٌ فيُحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم يُؤت كبيرة، وذلك الدهرَ كلَّه». رواه مسلم.

وإن الشرع الشريف وإن هو أوجب الخشوع إلا أنه توسَّع في الإذن بالقيام بأعمال مختلفة في الصلاة على أن تكون خفيفة، دون أن يعتبرها قادحة في الخشوع ولا منافية له. (الجامع لأحكام الصلاة لمحمود الصواف ٢/٣٣٣). وسوف نذكر جملة من هذه الأعمال في العدد القادم إن شاء الله. اللهم اجعلنا من الخاشعين في الصلاة، وتقبل سعينا، واجعله خالصاً لوجهك الكريم.. اللهم آمين.

القصة في كتاب الله

غزوة الأعاجيب (ذات الرقاع)

إعداد/ **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله مالك الملك ومدبر الأمر الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الذي يصوِّر خلقه في الأرحام كيف يشاء، وبعدُ: ففي شهر جمادى الأولى من السنة الرابعة الهجرية تحرك الجيش الإسلامي بقيادة النبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى نجد، وبالتحديد إلى قبائل غطفان ومن بطونها بني محارب وبني أنمار وبني ثعلبة، وهذا المكان يبعد عن المدينة النبوية حوالي مائة وعشرين كيلو مترًا وبالتحديد في محافظة الحناكية شرق المدينة النبوية وفي مكان يسمى الآن «النخيل».

١ - أسباب هذه الغزوة:

والسبب المباشر لهذه الغزوة أن أعرابيًّا أتى إلى المدينة بتجارة فأخبر المسلمين بالمدينة وقال: إنه رأى بني أنمار وبني ثعلبة يستعدون لغزو المدينة النبوية والقضاء على الإسلام والمسلمين، ولمَّا علم النبيُّ بذلك بادر بالخروج إليهم في عقر دارهم قبل أن يأتوا إلى المدينة، وخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم في جيش قوامه أربعمائة مقاتل على أقل تقدير أو ثمانمائة على أكثر تقدير، وكان التوقيت الزمني في بداية شهر جمادى الأولى من السنة الرابعة للهجرة، وهذا ما يراه عامة أهل التاريخ والسير إلا الإمام البخاري رحمه الله فهو يرى أنها كانت بعد خيبر فأخرج عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، قال: فنقبت أقدامنا، فنُقبت قدماي وسقطت أظفاري، فكنا نلفّ على أرجلنا الخِرَق، فسُميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصبُ على أرجلنا من الخِرَق». متفق عليه واللفظ هنا لمسلم.

٢ - سبب تسمية هذه الغزوة:

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «سُميت ذات الرقاع وهذا هو الصحيح»، والإمام النووي في هذه التسمية يستند إلى حديث أبي موسى الأشعري السابق وتسمية أبي موسى لها وبيان السبب في ذلك.

وقال الإمام النووي بعد ذلك: «وسميت بذلك بجبل هناك فيه بياض وسواد وحمرة وقيل: سميت باسم شجرة هناك، وقيل: لأنه كان في ألويتهم رقاع، ويحتمل أنها سميت بالمجموع». اهـ.

وهكذا ذكر الإمام النووي عدة أسباب لتسمية الغزوة بذات الرقاع، وكلها محتملة، ولكنه رجَّح التسمية التي وردت في حديث أبي موسى وسببها، وقد سماها بعض أهل العلم بـ «غزوة الأعاجيب»؛ بسبب ما حدث فيها من أمور عجيبة كثيرة سنشير إلى جانب منها إن شاء الله في حينها.

٣ - خروج النبي من المدينة:

خرج النبي صلى الله عليه وسلم بعدما ولَّى على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: أبا ذر رضي الله عنه، ولما وصل النبي والجيش الإسلامي إلى مكان يقال له: «نخلا»، وهي المعروفة بقرية النخيل الآن التابعة لمحافظة الحناكية، ولما وصل المسلمون إلى هذا المكان المشار إليه فوجد قبائل غطفان قد احتشدت فعلاً وتهيأت وتأهبت، ولكنهم حين رأوا جيش المسلمين قادم ألقى الله في قلوبهم الرعب فتفرقوا هاربين في رؤوس الجبال وتركوا بيوتهم وأنعامهم ونساءهم فاستاق المسلمون الأنعام وبعض النساء سبايا وعادوا سالمين دون قتال.

٤ - جملة من الأمور العجيبة:

وفي طريق عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة

وقعت بعض الأحداث العجيبة وبعض الآيات النبوية والمعجزات المادية سنعرض لها الآن بعون الله، ومن هذه الأمور ما حدث في طريق الذهاب أو العودة والأكثر كان في العودة، وسنعرض ما ييسره الله لنا في هذه العجالة، والله ولي التوفيق على الوجه التالي:

قال ابن إسحاق في السيرة: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعان من غطفان فتقارب الناس- يعني التقيا وجهًا لوجه- أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمشركون من غطفان، قال: ولم يكن بينهم قتال، فخاف بعضهم من بعض، خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم على حين غرة، وخاف المشركون ألا يبرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستأصلهم، وفي هذه الأثناء بينما المشركون فوق رؤوس الجبال والمسلمون بالوادي ويرى بعضهم بعضًا، حانت صلاة الظهر، وروى البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «الظهر»، فهمَّ به المشركون، فقالوا: دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه أحب إليهم من أبنائهم، فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى العصر بأصحابه صلاة الخوف، قال ابن سعد: وكان ذلك في أول ما صلاها، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعًا إلى المدينة.

ومن الأعاجيب ما حدث لعباد بن بشر رضي الله عنه:

روى أحمد في مسنده وأبو داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، فَأَصَابَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ امْرَأَةَ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا، أَتَى زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا، فَلَمَّا أُخْبِرَ الْخَبَرَ حَلَفَ لَا يَنْتَهِي حَتَّى يُهَرِيقَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ دَمًا، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ مَنْزِلًا، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: فَكُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ قَدْ نَزَلُوا إِلَى الشِّعْبِ مِنَ الْوَادِي، فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ، أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: بَلِ اكْفِنِي أَوَّلَهُ، قَالَ: فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ، فَنَامَ، وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، قَالَ: وَأَتَى زَوْجُ الْمَرْأَةِ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ، قَالَ: فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ، قَالَ: فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا يُصَلِّي، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ، قَالَ: فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا يُصَلِّي، ثُمَّ عَادَ لَهُ الثَّالِثَةَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ، فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُثْبِتُّ فَوَثَبَ، فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ نَذَرَ بِهِ، فَهَرَبَ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدِّمَاءِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، أَفَلَا أَهْبَبْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ؟ قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَأُهَا، فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِدَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ عَلَيَّ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأَذَنْتُكَ، وَايْمُ اللهِ لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِهِ، لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِدَهَا». (صححه محققو المسند برقم: ١٤٦٣٩).

وجاء في بعض الروايات اسم السورة وهي «الكهف».

ومن تلك الأمور العجيبة: هذا الحادث يدخل في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم المادية وعصمة الله له: ما رواه الشيخان وأحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأدركتنا القائلة (القيلولة) في وادٍ كثير العضاة (شجر له شوك)، وتفرق الناس ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، فعلق بها سيفه ونمنا نومة، فجاء رجل من المشركين فاخترط سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهزه في يده فاستيقظ رسول الله، وقال الرجل وهو مصلتًا السيف على رسول الله، يا محمد، من يمنعك مني الآن؟ قال: «الله»، وكرر الرجل السؤال، وكرر الرسول صلى الله عليه وسلم الإجابة في كل مرة: «الله، الله»، قال: فسقط

السيف من يد الأعرابي، فقام الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ السيف وأشهره على الرجل وقد وقع الرجل على الأرض، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «من يمنعك مني الآن؟» قال الرجل: كن خير آخذ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله»؟ قال: لا، ولكني أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى الرجل قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس، وهذا الرجل اسمه غورث بن الحارث من بني محارب من غطاف، وقد أسلم بعد ذلك.

ومن الأمور العجيبة قصة جمل جابر رضي الله عنه:

وقد قصَّ جابر رضي الله عنه قصة جميلة أخرجها الإمام أحمد وأبو نعيم والشيخان قال جابر رضي الله عنه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني ثعلبة (ذات الرقاع)، قال: وخرجت على ناضح لي، فأبطأ عليَّ، وأعياني حتى ذهب الناس، فجعلت أرقبه وهمَّني أمره، فأتى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما شأنك؟ فقلت: يا رسول الله، أبطأ علي جملي فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره، فقال: «معك ماء؟» فقلت: نعم. فجئته بقعب من ماء، فنفث فيه ثم نضح على رأسه وظهره وعلى عجزه، ثم قال: «أعطني عصا»، فأعطيته عصا معي فنحسه نحسات وقرعه بالعصا، ثم قال: «اركب». فركبت فخرج والذي بعثه بالحق بُواهق (يباري ويسابق) ناقته مواهقة ما تفوته ناقته، وجعلت أكفُّه عن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حياءً منه. وهذا الحديث طويل وفيه حوار طويل بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين جابر فيه مواساة لجابر ومداعبة له، وفيه كرم النبي صلى الله عليه وسلم ومراعاته لأصول أصحابه.

ومن الأمور العجيبة قصة الشجرتين:

روى مسلم وأبو نعيم والبيهقي: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ، وَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: " انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّه "، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: " انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّه "، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا يَعْنِي جَمَعَهُمَا، فَقَالَ: " الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّه "، فَالْتَأَمَتَا، قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُرْبِي فَيَتَبَاعَدَ، فَجَلَسْتُ، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلٌ، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ وَقْفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا يَمِينًا وَيَسَارًا، ثُمَّ أَقْبَلَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ، قَالَ: " يَا جَابِرُ، هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟ "، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: " فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ، فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا، حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي أَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ "، قَالَ جَابِرٌ: فَأَخَذْتُ حَجَرًا، فَكَسَرْتُهُ، فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ، فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا، حَتَّى إِذَا قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه، فَعَمَّ ذَلِكَ؟، فَقَالَ: " إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ "، فَأَتَيْنَا الْعَسْكَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا جَابِرُ، نَادِ بِوَضُوءٍ "، فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءَ أَلَا وَضُوءَ؟، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا وَجَدْتُ فِي الرَّكْبِ مِنْ قَطْرَةٍ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُبَرِّدُ لِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَشْجَابٍ لَهُ، فَقَالَ: " انْطَلِقْ إِلَى فُلَانِ الْأَنْصَارِيِّ، فَانْظُرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ؟ "، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ، فَنَظَرْتُ فِيهَا، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ مَا كَانَتْ شَرْبَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أُفْرِغُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، قَالَ: " اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ "، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ

لا أَدْرِي مَا هُوَ، وَيَغْمِزُهُ بِيَدِه، ثُمَّ أَعْطَانِيه، فَقَالَ: " يَا جَابِرُ، نَاد بِجَفْنَة "، فَقُلْتُ: يَا جَفْنَةَ الرَّكْب، قَالَ: فَأَتَيْتُ بِهَا تُحْمَلُ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: هَكَذَا، وَبَسَطَ يَدَهُ فِي وَسَطِ الْجَفْنَة، وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِه، وَقَالَ: " خُذْ يَا جَابِرُ، وَصُبَّ عَلَيَّ، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّه "، فَصَبَبْتُ عَلَيْه، وَقُلْتُ: بِسْمِ اللَّه، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حَتَّى امْتَلَأَتْ. قَالَ: " يَا جَابِرُ، نَاد مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاء "، قَالَ: فَأَتَى النَّاسُ، فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا، قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَة وَهِيَ مَلأَى. فأتى الناس فاستقوا.

ونكتفي بهذا القدر من أحاديث الأعاجيب فهي كثيرة، ونشرع الآن في الوقوف مع فائدتين فقط أو ثلاث من الفوائد التي تحتاج إلى مقال مستقل، والله المستعان.

الفائدة الأولى وهي تتعلق بالرعب الذي ألقاه في قلوب غطفان المشركين الذين فروا إلى رؤوس الجبال عندما رأوا النبي والذين آمنوا معه، وهذه من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم: «نُصرت بالرعب مسيرة شهر». متفق عليه.

وهذا النصر بالرعب يكون لأمته أيضًا بقدر اتباعهم لسنة نبيهم وصدقهم في ذلك، والشواهد كثيرة على مر التاريخ لا مجال لبسطها الآن.

الفائدة الثانية والمهمة:

صفات الرجال الذين نصر الله بهم دينه:

في موقف الحراسة الليلية نتعلم حرص القائد على جنده وأخذه بالأسباب المشروعة، وهو سيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم، لكن الأهم نطالع فائدة عظيمة تعطي درسًا عظيمًا للشباب المسلم في صدق الإجابة والرجولة والثبات على العقيدة والتضحية في سبيلها، ونكشف للقارئ الكريم عن سر قيام الدولة الإسلامية في ذلك الزمن الوجيز وانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها على أيدي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وندرك الفرق بيننا وبينهم، فهذا عباد بن بشر رضي الله عنه يقوم في نوبته من الحراسة الليلة في ليلة قاسية البرد شديدة الرياح على الشعب في صحراء مكشوفة وينام أخوه عمار بن ياسر ليستعين بنومته هذه على قيام آخر الليل، وبينما هما كذلك يأتي المتربص من المشركين فيطلق سهامه واحدًا بعد الآخر فيصيب عبادًا رضي الله عنه بسهم تلو الآخر، فينزع عباد سهمًا بعد آخر من جسمه ويواصل صلاته وقراءته حتى إذا أصابه السهم الثالث ونزفت الدماء منه بغزارة وخشي أن يُغشى عليه فيؤتى المسلمون من قبله وهو على ثغر من ثغورهم؛ فيوقظ أخاه عمارًا، ولولا ذلك لظل مستمرًا في قراءته حتى ينتهي من السورة التي أحبها فهو يحب القرآن ويحب الله ويحب رسوله وهو مستعد للتضحية بنفسه حبًا في الله وكتابه ورسوله، وبهذا سادوا وبهذا تميزوا على من جاء من بعدهم.

الفائدة الثالثة: معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم المادية كثيرة، وقد أحصاها العلماء في كتب مستقلة، ومنها ما رأيناه خلال هذه الغزوة وغيرها من نبع الماء من بين أصابعه وكثرة الطعام والبركة فيه، وحديثه مع الشجر والدواب وغيرها، لكن هذه الآيات المادية كما يسميها البعض أو المعجزات تخاطب من شاهدها وعاشها، وتخاطب السمع والبصر ولم يتحدَّ الله بها أحدًا، لكن تبقى معجزة القرآن التي تخاطب السمع والبصر والقلب والعقل والكيان في الإنسان كله، وتخاطب الناس في كل زمان ومكان، والتي تحدى الله بها الإنس والجن: « أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ » (العنكبوت:٥١).

يبقى عطاء القرآن متجددًا بحفظ الله له، نسأل الله تعالى أن يرحمنا به في الدنيا والآخرة، هذا ما تيسر في هذه العجالة، والله الموفق.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

إصلاح ذات البين

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «قال الله عزَّ وجلَّ: المتحابّون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النّبيّون والشّهداء». (سنن الترمذي).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال». (صحيح البخاري).

من دلائل النبوة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يريهم آية: فأراهم انشقاق القمر مرتين. (صحيح البخاري).

من فضائل الصحابة

موقف أهل البيت من الصحابة

قال جعفر: يا سالم أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدّي، لا نالتني شفاعة محمد-صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما، وأبرأ من عدوهما». (سير أعلام النبلاء).

حكَم ومواعظ

قال مالك بن دينار: «رحم الله عبدًا قالَ لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثمَ زمّها، ثمَ خطمها، ثمَ ألزمها كتاب الله- عزّ وجلّ- فكان لها قائدًا» (محاسبة النفس لابن أبي الدنيا).

إعداد/ علاء خضر

من غريب الحديث

«لا تجعلوا بيوتكم مقابر» أي: لا تجعلوها لكم كالقبور، فلا تصلوا فيها؛ لأن العبد إذا مات وصار في قبره لم يصلِّ، ويشهد له قوله: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا» (النهاية في غريب الحديث).

فضل الصلاة على النبي ﷺ

أمر الله بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى فيه بملائكة قدسه ، فقال جل من قائل كريما: « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا » (الأحزاب: ٥٦).

خُلق حسن فالزمه

قيل لمعاوية: من أسود النَّاس؟ قال: «أسخاهم نفسًا حين يُسأل، وأحسنهم في المجالس خُلقًا، وأحلمهم حين يُستجهل» (نضرة النعيم).

خُلق سيئ فاحذر منه

قال أبو منصور: «العجلة مفتاح النَّدامة». (نضرة النعيم).

من أقوال السلف

عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: «من عمل على غير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح». (شرف أهل الحديث).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة العذاب ما يتمنى أنه لم يقضِ بين اثنين في تمرة قط». قال الألباني: حديث ضعيف.

(السلسلة الضعيفة).

فروق لغوية

الفرق بين المقسط والقاسط. المُقسط: هو العادل أو المُنصف «إن الله يحب المُقسطين».

والقاسط: هو الظالم أو الجائر، «وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا».

أُصُولُ الآدَابِ وَجَوَامِعُ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ

الأَمَانَةُ فِي زَمَنِ الزَّمَانَة

(٥)

الأَمَانَةُ بين الرَّفْعِ والدَّفْعِ

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسائر عباده الصالحين.

إعداد/ ا. عماد محمد عيسي

فقد أطبق الأولون والآخرون على شرف صفة الأمانة، وأنَّه لَمَّا عَزَّ جَانِبُها كَثُرَ مُجَانِبُها، بَيْدَ أنَّها لَمَّا ابْتَذَلَتْ خِدْرَها الأقلامُ، وهتَكَتْ سترَهَا الأوْهَامُ رُفِعتْ فيما رُفِع من الخَير، ونُزِعتْ فيما نُزِعَ من البرَكَة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وقد رأينا طرفًا من أداء الأمانة في زمان الصبا، وأدركنا شيئًا من ذلك أيام التَّصابي والفتوة، وقبل أن تَعْلُوَ بنَا السِّنُّ، وعَايَنَّا حرصَ النَّاس على العَمَل بها في أيَّام الحَدَاثَة حَتَّى ارْتَقَوْا منْهَا مُرْتقًى لَا بَأْسَ بِه، ولا عجبَ فقد كَانَ بابُ الأمانة يومئذٍ عليْه كظيظٌ من الزِّحَام يَخبُّ فيه أقْوَامٌ ويضَعُ آخَرُون، ومَنْ أبْصَرَ علِمَ وليس الخبر كالمعاينة.

أمَّا الآنَ فلاَ، إذ صَارَ في الْمُسْلمينَ مَن يَعْمَلُ على كَيْدها، ويَسْعَى لوَأْدها حَتَّى زَلَّتْ أقدامٌ إلى الحضيض، وحَادَ كَثيرُونَ عَنْ سَنَن الصَّوَاب، وَأَضْحَى أدَاءُ الأَمَانَة في زَمَاننَا في الصُّعوبَة غَايَةً، بَيْنَمَا بَاتَتْ نَاقضَتُهَا- وهيَ الخيَانَةُ - بالغة النهاية، وظهرت - أي الخيانة - وصارت ظَاهرَةً مُؤْلمَةً خَافضَةً غَيْرَ رَافعَة، وانْتَشَرَتْ في الأمْوَال والأَعْرَاض وغَيْرهَا، وبَاتَ يَتَوَازَعُها الجيَاعُ بصَلاَبَة جَبين، وَيَتَقَاسَمُهَا غلاَظُ الرِّقَاب بجُرْأَة فَارِهَة حتَّى أَصَابَتْنَا بالْخَاطئَة، وَأَثَارَتْ في أُمَّتنَا النَّقعَ وغُبَار الفتَن، وأحاطت بنا العوادي وأناخت علينا المحن، وجَاءَتْنَا ببَليَّات لا تَقْبلُ مَهْلاً ورمتنا بدواهي عظَام ومحن كبار نسأل الله تعالى السلامة والصون.

ومن الغريب أنه قد ادَّعى الأمَانَةَ- ظلمًا وزورًا - آخَرونَ، وفيهم السَّاقطُ المَهينُ، ومنهم النَّذْل الخَسيس، الواهنُ دينُه، الوَاهي إيمانُه ويقينُه، وما هذه الدعاوى- والله- إلا مشارب ذهبتْ بعقل شاربها، وألحَقَتْه بالمجَانين إذْ لا دليلَ في ذلكَ على

صدْقِ دَعْوَاهُ، ولا أَمَارةَ على تَأْييدِ مَا عَنَاهُ.

كَمْ مِنْ أَسَامٍ تَزْدَهِيكَ بِحسْنِهَا
وَصَاحِبُهَا فَوْقَ السَّمَاءِ اسْمُهُ سَمِجُ

ولا أقول ذلك فسحًا للتشاؤم، ولا تسويغًا للقنوط، ولا إعمالاً لليأس وركونًا إليه، وإنما هذا هو التحذير وبعث النفير ليستنهض المسلمون الهمم، ويذروا التقاعد، ويتركوا التثاقل إلى الأرض، وينزعوا بالثقة في الله ثم في أخلاقهم وهممهم فيصلحوا منها ما فسد، ويرتقوا منها ما سلب أو انخرق ويحققوا منها قدرًا صالحًا، عسى أن نسترد من مجد أمتنا الأثيل، وترجع إلينا سيرتنا المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة ويتذاكر الناس أخبارًا خلدها الدهر، وفخرًا علا مطالع النجوم الزهر وما ذلك على الله بعزيز.

وَاعلم أنه وَالله لَوْلا رَحْمَةُ رَبِّي ولطفه الخفي بعباده لَنَزَل بِنَا بَلاءٌ مُبِينٌ، وَصُبَّ عَلَيْنَا العذابُ صَبًّا، لكنَّ الله يرحمُنا بأطفال رُضَّعٍ،وشَبَابٍ خُشَّعٍ،وشُيوخٍ رُكَّعٍ،وبَهائمَ رُتَّعٍ، وقد ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم أن رحمة الله تعالى تسبق غضبه.

تعظيم أمر الأمانة:

وفي تعظيم أمر الأمانة قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) (النساء: ٥٨).

وفي حديث الشفاعة: « فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ،فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً » (رواه مسلم (١٩٥)).

لقد طَنَّتْ نَائِحَةُ الأخْلاقِ، وَرَنَّتْ صَالِقَةُ المَكارِمِ حزنًا على الخُلُقِ الغائبِ، وعَزَاءً في فَقِيدَتِها الأَمَانَةِ الَّتي رُفِعَتْ أو كادَتْ، حَتَّى أَصْبَحَ فَأْلُ المرءِ في حَالِ سُقُوطٍ، بَل كَادَ يغلبُهُ اليَأسُ والقُنُوطُ، لَوْلاَ رَجَاؤُهُ في الله وثقتُهُ في مَوْلاهُ الَّذي وَعَدَ ببقاءِ طَائفة من الأمَّة ظاهرينَ على الحقِّ متمسكينَ به، يفتحون أقفاله، ويفضون قيوده وأغلاله، لا يضرُّهم من خذَلَهُم ولا من كَادَهم حتَّى تقومَ الساعةُ وهم كذلك كما تواتر عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

إنَّ مَنْ فَقدَ الأمانةَ فقدْ كَمُلَتْ مَفَاقِرُه، وَعَظُمَتْ فَوَاقِرُه، وَتَمَّتْ بَوَاقِرُه، إذْ إنَّهُ قد اتَّخذَهُ الشَّيْطانُ قرينًا يَنصِبُ لَهُ الحَبَائلَ، وَيَبْغيه الغَوَائلَ، وَيَمُدُّ لَهُ الأشْرَاكَ (جمع شَرَك وهو الفخ)، وَيَنْصِبُ لَهُ الفِخَاخَ وَالشِّبَاكَ، فإذا هُوَ بَيْنَ النَّاسِ كأَنَّهُ حَيَّةٌ تَسْعَى، نَاصِيَتُهُ بيَدِ شَيْطانٍ، يُيَمِّمُ وَجْهَهُ شَطْرَ مَا شَاءَ، وَيُوقِعُ به كُلَّ بَلاءٍ.

وَتَرَى هَذَا الصِّنْفَ الْبَغِيضَ لباسُه التَّصَنُّعَ، وشِعَارُه المَلَقَ، وعُنْوَانُه التَّجَلُّدُ في النفاقِ والشر حَقَّ الجلادَةِ، فَهُوَ وَإنْ كانَ حَسَنَ الْعِبَارَةِ، حُلوَ الإشَارَةِ، فصيحَ اللِّسَانِ، ظاهِرَ الْبَيَانِ، لكنَّهُ يَنْطوي عَلَى قَلْبٍ خَائنٍ، وَلِسَانٍ سَاخرٍ لُمَزَةٍ، وَهَكَذَا يَكُونُ الرَّجُلُ النَّذْلُ للزَّمَنِ الرَّذْلِ.

إذا كان هذا فعل عبد بنفسه
فَمَنْ ذا لَهُ مِنْ بَعْدِ ذلك يُكْرِمُ

بل هذه من خلال المنافق الذي قال في وَصْفه النَّبيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» (رواه البخاري(٣٣) ومسلم (٥٩)).

وَعَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيه كانَ مُنَافقًا خالصًا، وَمَنْ كانَتْ فيه خَصْلَةٌ منْهُنَّ كانَتْ فيه خَصْلَةٌ منَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمنَ خَانَ، وَإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإذا خَاصَمَ فَجَرَ» (رواه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨)).

ومثل هذا الصنف لا تكاد تصلح الأيام منه لفساد طويته ورداءة داخلته وتغالب طباعه حتى أنه لما دعاه الهوى أجابه وحينما قاده اتبعه فأنى يفلح مثل هذا؟!

وَلَيْسَ هَذَا الَّذي نَرَاهُ الْيَوْمَ بعَجيب في زَمَاننَا الَّذي أَصْبَحَ الأَصْلُ فيه الْعَوَجُ، وَالْفَرْعُ فيه الْخُصُومَةُ وَاللَّجَجُ، بحَيْثُ إنَّ الْمَرْءَ كُلَّمَا تَدَبَّرَ وَتَأَمَّلَ تَحَيَّرَ وَتَمَلْمَلَ منْ هَوْل مَا يَرَى، وَعَجيب مَا يَسْمَعُ وَللَّه الأَمْرُ منْ قَبْلُ وَمنْ بَعْدُ.

ضياع الأمانة مؤذن بقيام الساعة:

بَوَّبَ الْبُخَاريُّ - في صَحيحه - لذَلكَ بَابًا فَقَالَ: بَابُ رَفْع الأَمَانَة، وذَكَرَ فيه ثَلاثَةَ أَحَاديثَ: الأول: حَديثُ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ في مَجْلسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْم: سَمعَ مَا قَالَ فَكَرهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إذَا قَضَى حَديثَهُ قَالَ: « أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائلُ عَن السَّاعَة » قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: « فَإذَا ضُيِّعَت الأَمَانَةُ فَانْتَظر السَّاعَةَ »، قَالَ: كَيْفَ إضَاعَتُهَا؟ قَالَ: « إذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلَى غَيْر أَهْله فَانْتَظر السَّاعَةَ » (رواه البخاري (٥٩)).

وَفيه دلالَةٌ عَلَى أَنَّ ضَيَاعَ الأَمَانَة مُؤْذنٌ بقيَام السَّاعَة مُسْتَوْجبٌ لانتظَارهَا وَقُرْبهَا.

وَالثَّاني: حَديثُ حُذَيْفَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حَديثَيْن، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظرُ الآخَرَ؛ حَدَّثَنَا: « أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ في جَذْر قُلُوب الرِّجَال، ثُمَّ عَلمُوا منَ الْقُرْآن، ثُمَّ عَلمُوا منَ السُّنَّة » وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعهَا قَالَ: « يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ منْ قَلْبه، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مثْلَ أَثَر الْوَكْت، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مثْلَ الْمَجْل، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رجْلكَ فَنَفطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبرًا وَلَيْسَ فيه شَيْءٌ، فَيُصْبحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إنَّ في بَني فُلانٍ رَجُلاً أَمينًا، وَيُقَالُ للرَّجُل: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا في قَلْبه مثْقَالُ حَبَّة خَرْدَلٍ منْ إيمَانٍ ».

وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئنْ كَانَ مُسْلمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإسْلامُ، وَإنْ كَانَ نَصْرَانيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعيه، فَأَمَّا الْيَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايعُ إلاَّ فُلانًا وَفُلانًا. (رواه البخاري (٦٤٩٧) ومسلم (١٤٣)).

قال ابن حجر: « وَحَاصلُ الْخَبَر أَنَّهُ أَنْذَرَ برَفْع الأَمَانَة وَأَنَّ الْمَوْصُوفَ بالأَمَانَة يُسْلَبُهَا حَتَّى يَصيرَ خَائنًا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَمينًا وَهَذَا إنَّمَا يَقَعُ عَلَى مَا هُوَ شَاهدٌ لمَنْ خَالَطَ أَهْلَ الْخيَانَة فَإنَّهُ يَصيرُ خَائنًا لأَنَّ الْقَرينَ يَقْتَدي بقَرينه: اهـ (فتح الباري: ١٣/٤٣).

الثالث: حَديثُ عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا، قَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: « إنَّمَا النَّاسُ كَالإبل المائَة، لاَ تَكَادُ تَجدُ فيهَا رَاحلَةً » (رواه البخاري (٦٤٩٨))

في صحيح ابن حبان (٥٩٥٠) وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: « كَيْفَ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّه إذَا بَقيتَ في حُثَالَة منَ النَّاس؟ » قَالَ: وَذَاكَ مَا هُمْ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: « ذَاكَ إذَا مَرجَتْ أَمَانَاتُهُمْ وَعُهُودُهُمْ، وَصَارُوا هَكَذَا » وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابعه قَالَ: فَكَيْفَ بي يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: « تَعْمَلُ مَا تَعْرفُ، وَدَعْ مَا تُنْكرُ، وَتَعْمَلُ بخَاصَّة نَفْسكَ، وَتَدَعُ عَوَامَّ النَّاس ».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

أخطاء الآباء في تربية الأبناء

الحلقة الثانية

إعداد/ **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نتابع في هذا العدد الحديث عن أخطاء الآباء والأمهات والمعلمين والمربين في تربية الصغار، فنقول:

خامسًا: اختلاف الوالدين في تربية الأبناء

قد يختلف الأبوان في طريقة تربية الأبناء، فيرى كل منهما ما لا يراه الآخر، وفي وجود ذلك الاختلاف يرى الزوج أنه يمارس دوره في الأمر والنهي وإقامة سلطانه في بيته، فهل تجب على الزوجة أن تستسلم لرأيه، وأن تطيع زوجها فيما يراه مهما كانت النتائج، حيث إن الزوج له وجهة نظره في التربية، والأم تختلف عنه في هذه الوجهة؟ أم إنها تظهر الطاعة أمامه، ثم تفعل ما تراه مناسبًا بعد ذلك مع ابنها- من باب قول الله تعالى: (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا)، ومن باب: (كلكم راع)؟ أم أن هذا الخطاب موجَّه للولي فقط، وهوَ الأب؟ أم أن هذا يدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)؟

مسؤولية مشتركة:

يخطئ أي أب عندما يرى أنه هو وحده المسؤول عن تربية أبنائه بحلوها ومرها، ولا يشاركه أحد في ذلك، هذا فضلاً عن معارضته لأيَ تدخل في هذه التربية من قبَل الأم أو أي طرف آخر. نعم الزوج هو المسؤول الأول، لكن هناك مسئول ثانٍ وثالث إن وُجد، وكل مسؤول منهم له دوره الأساس والأصيل، وأحيانًا يكون دوره مساعدًا.

وقد حدد النبي محمد ﷺ هذا الاشتراك في تلك المسؤولية فيما رواه عنه صاحبه الجليل عبد اللَّهِ بن عمر رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالرَّجُلُ في أَهْلِه رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالْمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا). رواه البخاري (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩).

إذَن فتربية الأبناء مسؤولية مشتركة بين

الوالدين، فقد ولاهما الله سبحانه وتعالى حفظ هذه الأمانة، كل بحسب موقعه وقدرته، ولا ينبغي حصر هذه المسؤولية العظيمة في واحد منهما دون الآخر.

وإذا تأملنا حديث ولادة المواليد كلها على الفطرة، ثم يكون التحول بعد ذلك منوطا بالأبوين معًا وليس بواحد منهما دون الآخر وجدنا أن المسؤولية عن تربية الأبناء وتوجيههم شراكة بين الوالدين، لا يحل لأحدهما الانفراد بها، مثلما أنه لا يحل لأحدهما إهمالها أو التخلي عنها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: (مَا منْ مَوْلُود إلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفطْرَة فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه وَيُنَصِّرَانه وَيُمَجِّسَانه) رواه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٢٦٥٨).

وأمرهم شورى بينهم:

وفي أداء المسؤوليات المشتركة والقيام بها على الوجه الأكمل جاءت الشريعة بالأمر بالطريقة التي تؤدي في الغالب إلى أكمل النتائج وأحسنها بتوفيق الله سبحانه، وذلك من خلال « الحوار والمشاورة »، ولعل هذه القيمة أعظم سبب لسعادة الأسرة ونجاح التربية، وقد جاء الأمر بالشورى في المسؤوليات المشتركة في قوله تعالى: (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) (البقرة: ٢٣٣).

عَنْ مُجَاهِد في قوله تعالى: «فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ»، قَالَ: التَّشَاوُرُ فيمَا دُونَ الْحَوْلَيْن، لَيْسَ لَهَا أَنْ تَفْطمَهُ إلاَّ أَنْ يَرْضَى، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَفْطمَهُ إلاَّ أَنْ تَرْضَى ». تفسير الطبري جامع البيان (٤/٢٣٧).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: فإن اتَّفَقَا وَالدَا الطِّفْل عَلَى فطامه قَبْلَ الْحَوْلَيْن، وَرَأَيَا في ذَلكَ مَصْلَحَةً لَهُ، وَتَشَاوَرَا في ذَلكَ، وَأَجْمَعَا عَلَيْه، فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهمَا في ذَلكَ، فَيُؤْخَذُ منْهُ: أَنَّ انْفرَادَ أَحَدهمَا بذَلكَ دُونَ الْآخَر لاَ يَكْفي، وَلاَ يَجُوزُ لوَاحد منْهُمَا أَنْ يَسْتَبدَّ بذَلكَ منْ غَيْر مُشَاوَرَة الْآخَر، قَالَهُ الثَّوْريُّ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا فيه احْتيَاطٌ للطِّفْل، وَإلْزَامٌ للنَّظَر في أَمْره، وَهُوَ منْ رَحْمَة اللَّه بعبَاده، حَيْثُ حَجَرَ عَلَى الْوَالدَيْن في تَرْبيَة طفْلهمَا وَأَرْشَدَهُمَا إلَى مَا يُصْلحُهُ وَيُصْلحُهُمَا كَمَا قَالَ في سُورَة الطَّلاَق: «وَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ» (الطلاق:٦).

وَقَوْلُهُ: «وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بالْمَعْرُوف» أَيْ: إذَا اتَّفَقَت الْوَالدَةُ وَالْوَالدُ عَلَى أَنْ يَتَسَلَّمَ منْهَا الْوَلَدَ إمَّا لعُذْر منْهَا، أَوْ عُذْر لَهُ، فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهمَا في بَذْله، وَلاَ عَلَيْه في قَبُوله منهَا إذَا سَلَّمَهَا أُجْرَتَهَا الْمَاضيَةَ بالَّتي هيَ أَحْسَنُ، وَاسْتَرْضَعَ لوَلَده غَيْرَهَا بالْأُجْرَة بالْمَعْرُوف. قَالَهُ غَيْرُ وَاحد.

وَقَوْلُهُ: «وَاتَّقُوا اللَّهَ» أَيْ: في جَميع أَحْوَالكُمْ «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بمَا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ» أَيْ: فَلاَ يَخْفَى عَلَيْه شَيْءٌ من أحوالكم وأقوالكم. تفسير ابن كثير (١/٦٣٥).

والحقيقة أن كثيراً من المشاكل الزوجية التي تؤدي إلى الطلاق سببها غياب هذا النمط من المعايشة «نمط الشورى» من حياة الأسرة، أو الخطأ في ممارسته، فإن الحوار والشورى فن وعلم يحتاج دربة وممارسة وتفهمًا.

نماذج خلافية:

- بعض الآباء تثور ثورته إذا اشتكى له ابنه أن أمه ضربته، وقد يحدث العكس؛ الأب قاس جدًا والأم ترحم أولادها، فتختلف معه فيبدأ في تأنيبها، وربما ضربها وارتكب الشنيع، في أمر تافه وضيع. وبدلاً من تبادل وجهات النظر والإصغاء للآراء، واحترام عقل النساء، يصادر فكرها، ويكره ذكرها، وينشر سرها، وكل هذا يعود بالسلب على نجاح الأسرة وتربية الأبناء.

ومن الطبيعي أن تتعارض آراء الزوجين في بعض المسؤوليات المشتركة كتربية الأبناء؛ وذلك بسبب اختلاف ثقافة الزوجين، أو تدخل بعض الأقارب في ذلك، وغير ذلك من الأسباب، ولكن ذلك لا يستلزم الوصول إلى حالة الأزمة الحقيقية إلا إذا لم يتوصل الزوجان إلى طريقة مناسبة لاحتواء هذا التعارض.

- وبعض الآباء يعيش في المجتمع عنصرًا خاملاً، لا علاقة له بمسؤولياته ويترك الأم تحمل الهم وحدها، وتعاني مشاكل تربية الأولاد داخل البيت وخارجه بمفردها، إذا دخل بيته فهِدْ، ولا يسأل عما عهِدْ. فيحدث القصور في التربية، ويضيع النشء.

كلمة سواء:

لقد أمرنا الإسلام أن ندعو غير المسلمين إلى كلمة سواء، لا تخلي فيها ولا رياء، فقال فاطر الأرض والسماء: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ٦٤).

ونحن – معاشر المسلمين- أَوْلى بالكلمة السواء، والمودة والرحمة والإخاء، فإذا كان اختلاف بين الزوج وزوجته فلا مفر من التحاكم إلى من يفصل في الأمور، ويمنع

الشرور، إنـه الله رب العالمين، «إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ». قال وهو أصدق القائلين: «وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ».

ومن أسف أن من الزوجات من لا ترضى بحكم الله، ومن الأزواج من لا يستمع ولا يعجبه قول ربنا جل وعلا: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُون»، فتراه يقول: أنا لا أسأل أحدًا، ولا أحد يتدخل في أموري، وإياك أن تشتكي لأحد، أو تخرجي سرّنا لغيرنا، فلا هو للمشكلة حل، ولا استفاد بأهل الذكر والحل، ثم لا هو رحم، ولا خضع لرحمة الله إذ تنزل. وشرع الله وحكمه هو قمة الرحمة، والعدل والشفقة.

ينبغي أن يكون الحوار بين الزوجين حوارًا هادئًا بمرجعية إسلامية كما أمرنا الله تعالى بوجوب المودة والرحمة بين الزوجين وأن يلتزما بتربية النبي صلى الله عليه وسلم ونصائحه، خاصة وأن الله تعالى جعل في المرأة ما لم يجعل في الرجل من الحنان والحب والعاطفة الجياشة أكثر من الرجل، وجعل الله تعالى رجاحة العقل وقوة الإرادة والإدارة عند الرجل أكثر منه عند المرأة، فيراعى هذا الجانب في الخلاف بين الزوجين.

لذا فالواجب أن تتخلى الزوجة أو الزوج عن جزء من المشكلة المختلف عليها، وأن تتقارب المسافات، وتحترم الآراء مادامت مستندة إلى عقل صريح، ودين صحيح، وألا يكون هناك مسوغ لتدخل الشيطان فتكبر المشكلة وتأخذ حيزًا أكبر من حيزها وحجمها.

ولعل إدراك الوالدين لخطورة انعكاسات تعارض أساليب التربية على شخصية الابن يحثهما على ضرورة تجاوز هذه المشكلة.

فالرسالة التربوية التي يحرص الأب على إيصالها ستضيع ويتلاشى أثرها إن قامت الأم بتوجيه رسالة مغايرة لها، ويؤدي ذلك إلى اختيار الإبن الرسالة التي تناسبه هو، بل كثيرًا ما يبتدع حلاً ثالثاً تبعاً لهواه هو، وذلك يعني صعوبة في تمييز الابن بين الصواب والخطأ، والحلال والحرام، وهو أخطر ما يواجه التربية الصحيحة.

مضار الخلافات الزوجية:

١- تعارض أساليب التربية قد يؤدي إلى كراهة الطفل أحد الوالدين وضعف الميل نحوه، مما يؤدي إلى العقوق مستقبلاً، وعاق الوالدين في النار، فهل يرضى أحد الوالدين أن يحفر لأبنائه حفرة من النار؟ فإذا قال: لا أرضى، فلماذا أخذ بأسباب ذلك؟ وقد تبدو المشكلة أكبر فأكبر في مراحل متقدمة من تعمق الخلاف بين الأب والأم حول تربية الأبناء.

٢- تضارب الآراء بين الأبوين يضعف شخصية أحدهما أمام الأبناء، ويؤثر على نفسية الضعيف منهما، ولهذا السلوك الأثر السلبي على صحتهم ونفسيتهم مستقبلاً.

٣- إذا قام أحد الوالدين بتوجيه رسالة مغايرة لرسالة الآخر يؤدي ذلك إلى اختيار الابن ما يناسبه وهذا خطير؛ لأن الابن لم يتربَّ على شريعة صحيحة.

٤- عدم الاتفاق في التربية يجعل الصورة مهتزة أمام الأبناء ولا يعرفون ما الخطأ وما الصواب.

وعلى ذلك فلا بد من خطة مدروسة ومحسوبة من الوالدين للوصول إلى النتائج المرجوة في التربية الناجحة، ولا يتحقق هذا إلا عن طريق دراسة التربية النبوية للرجال والنساء.

إذًا فمن الواجب أن يكون هناك اتفاق مبدئي بين الأب والأم على عدم قيام أيّ طرف منهما بتوجيه رسالة تربوية مخالفة للرسالة التي وجهها أحدهما إلى الأبناء، خاصة أمامهم، وإن كان ثمة ملاحظات أو اعتراضات على تلك الرسالة فيؤخر أمرها إلى حين المشاورة والمحاورة بعيدًا عن أعين الأبناء.

كما أن من المهم جداً أن يتعامل الوالدان بينهما بالصدق والصراحة، فلا ينبغي لا شرعًا ولا خُلقًا وتربية وأدبًا لأحد الوالدين أن يُظهر للآخر موافقة على أسلوب تربوي معين، ولكنه في حقيقة الأمر يخالفه ويناقضه ولا يقوم به، وسريعًا ما يكتشف الطرف الآخر خداعه له، فتفقد الثقة بين الأبوين في مسألة التربية، ولا تؤدي إلا إلى تفاقم المشكلة، في حين أن سلوك الصراحة والمشاورة والمراضاة بين الأبوين يؤدي إلى تجاوز الخلاف، كما أنه يتجاوز بالأبوين كل خلاف آخر، وذلك حين يعتادان على الشورى والتفاهم.

أخيرًا وختامًا:

يجب مراقبة الله عز وجل في تربية الأبناء، والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله في أصول التربية عند الاختلاف، فإن كان الاختلاف في الوسائل فطريقه المشاورة والمحاورة بين الأبوين، ثم بعد ذلك يكون الحَكَم بينهما هو الناصح الأمين، من أهل العلم والذكر والاختصاص والخبرة، وإذا صدق الوالدان في نيتهما صَلح الأبناء خُلقًا ودينًا، والله سبحانه وتعالى سيجعل لهما من خلافهما مخرجًا.

نسأل الله أن يصلح لنا أزواجنا وذرياتنا؛ إنه جواد كريم.

فقر المشاعر

فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فما يزال الحديث متصلاً عن فقر المشاعر في الحياة الزوجية، وما يقع من الزوج من شدة في العتاب، أو إسراف في اللوم، وقلنا: إنه يحسن به إذا وقع منه ذلك أن يبادر إلى الاعتذار، أو الهدية، وإظهار الأسف، والاعتراف بالخطأ دون أن تأخذه العزة بالإثم؛ فما هو إلا بَشَر، وما كان لبشر أن يدَّعي أنه لم يقل إلا صوابًا.

وكما أن من الأزواج من يكثر انتقاد الزوجة ولومها إذا هي أخطأت أي خطأ، فكذلك تجد من هؤلاء من لا يشكر زوجته إذا هي أحسنت، ولا يشجعها إذا قامت بالعمل كما ينبغِي، فقد تقوم الزوجة بإعداد الطعام الذي يلذُّ للزوج، وقد ترفع رأسه إذا قدم عليه ضيوف، وقد تقوم على رعاية الأولاد خير قيام، وقد تظهر أمامه بأبهى حلة، وأجمل منظر، وقد، وقد، وقد..

ومع ذلك لا تكاد تظفر منه بكلمة شكر، أو ابتسامة رضًا، أو نظرة عطف وحنان، فضلاً عن الهدية والإكرام.

ولا ريب أن ذلك ضرب من ضروب الغلظة، ونوع من أنواع اللؤم والبخل.

وقد يلتمس الزوج لنفسه العذر بأنه يخشى من تعالي الزوجة وغرورها إذا هو شكرها أو أثنى عليها.

وهذا الكلام ليس صحيحًا على إطلاقه؛ فيا أيها الزوج الفاضل: لا تبخل بما فيه سعادتك وسعادة زوجتك، ولا تهمل اللفتات اليسيرة من هذا القبيل، فإن لها شأنًا جللاً، وتأثيرًا بالغًا.

فماذا يضيرك إذا أثنيت على زوجتك بتجملها، وحسن تدبيرها؟ وماذا ستخسر إذا شكرتها على وجبة أعدتها للضيوف؟ أو ذكرتَ لها امتنانك لرعايتها وخدمتها لبيتك وأولادك- وإن كان ذلك من اختصاصها، وإن كانت لا تقدمه إلا على سبيل الواجب؟

لكن ذلك من قبيل الكلمة الطيبة التي تؤكد أسباب المودة والرحمة.

إن الزوجة إذا وجدت ذلك من زوجها ستسعد،

وتشعر بالنشاط، وتندفع في خدمته، وتسارع إلى مراضيه؛ لما تلقاه منه من حنان وعطف وتقدير.

وإذا أصبح قلبها مُترعًا بهذه المعاني عاشت معه آمنة مطمئنة، وعاد ذلك على الزوج بالأنس والمسرات.

من صور سوء عشرة الزوجة لزوجها:

وكما أن كثرة اللوم وقلة الشكر يصدر من بعض الأزواج، فكذلك يصدر من بعض الزوجات؛ فمن الزوجات من هي كثيرة التسخط، قليلة الحمد والشكر، فاقدة لخلق القناعة، غير راضية بما آتاها الله من خير.

فإذا سُئلت عن حالها مع زوجها أبدت السخط، وأظهرت الأسى واللوعة، وبدأت بعقد المقارنات بين حالها وحال غيرها من الزوجات اللائي يُحسنُ إليهن أزواجهن.

وإذا قدم لها زوجها مالاً سارعت إلى إظهار السخط، وندب الحظ؛ لأنها تراه قليلاً مقارنة بما يُقدَّم لنظيراتها.

وإذا جاءها بهدية احتقرت الهدية، وقابلتها بالكآبة، فتُدخل على نفسها وعلى زوجها الهم والغم بدل الفرح والسرور، بحجة أن فلانة من الناس يأتيها زوجها بهدايا أنفس مما جاء به زوجها.

وإذا أتى بمتاع أو أثاث يتمنى كثير من الناس أن يكون لهم مثله قابلته بفظاظة وشراسة منكرة، وبدأت تُظهر ما فيه من العيوب.

وبعضهن يُحسن إليها الزوج غاية الإحسان، فإذا حصلت منه زلة، أو هفوة، أو غضب عليه غضبة نسيت كل ما قدَّم لها من إحسان، وتنكرت لما سلف له من جميل.

وهكذا تعيش في نكَد وضيق، ولو رُزقت حظًا من القناعة لأشرقت عليها شموس السعادة.

ومثل هذه المرأة يوشك أن تُسلب منها النعم، فتقرع بعد ذلك سن الندم، وتعض أنامل التفريط، وتقلب كفيها على ما ذهب من نعمها.

من وسائل سعادة المرأة في بيتها:

إن السعادة الحقة إنما هي بالرضا والقناعة، وإن كثرة الأموال والتمتع بالأمور المحسوسة الظاهرة- لا يدل على السعادة؛ فماذا ينفع الزوجة أن تتلقى من زوجها الحلي والنفائس والأموال الطائلة إذا هي لم تجد المحبة، والحنان، والرحمة، والمعاملة الحسنة؟!

وماذا ستجني من جراء تسخطها إلا إسخاطها ربها، وخراب بيتها، وتكدير عيشة زوجها؟!

فواجب على المرأة العاقلة أن تتجنب التسخط، وجدير بها أن تكون كثيرة الشكر؛ فإذا سُئلت عن بيتها زوجها وحالها أثنت على ربها، وتذكرت نعمه، ورضيت قسمته؛ فالقناعة كنز الغني، والشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة؛ فإذا لزم الإنسان الشكر درت نعمه وقرت؛ فمتى لم ترَ حالك في مزيد فاستقبل الشكر، كيف وقد قال ربنا عز وجل: « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » (إبراهيم:٧).

بل يحسن بالزوجة أن تشكر ربها إذا نزل بها ما تكرهه؛ شكرًا لله على ما قدره، وكظمًا للغيظ، وسترًا للشكوى، ورعاية للأدب. (انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/١٩٩، ٢٤٣).

ثم إن الشكوى للناس لا تجدي نفعًا، ولا تطفئ لوعة- في الغالب، ولهذا رأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته فقال: «يا هذا، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك». (الفوائد لابن القيم ص١٣١).

وإن هناك من حاجة لبث الشكوى لمن يعنيهم الأمر؛ طلبًا للنصيحة، أو نحو ذلك، فلا بأس، وإلا فلماذا نثير انتباه الذي لا يعنيهم أمرنا، ولا ننتظر منهم أي فائدة لنا، فنفضح أنفسنا، ونهتك أستارنا، ونبين عن ضعفنا وخَوَرنا في سبيل الحصول على شفقة أو عطف ليس من نتيجة سوى ازدياد الحسرة وتفاقم المصيبة.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يسعدنا في بيوتنا، ويبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا، ويصلح لنا سائر أحوالنا.

إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح

إعداد/ **معاوية محمد هيكل**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا ريب أن السعي إلى إصلاح الأفراد والمجتمعات عمل من أجَل الأعمال وأعظمها، ينبغي أن تُحشد له الطاقات، وتُكرَّسُ له جهود المصلحين.

والمتأمل في كتاب الله عز وجل يجد أن الحديث عن الإصلاح يَنصَبُّ في المقام الأول على إصلاح العقيدة، ويأتي -في مقدمة مقاصد القرآن الكبرى؛ يجد أن استقامة أعمال المكلفين وتصرفاتهم لا تصلح إلا بإصلاح عقيدتهم وتصوراتهم وطريقة تفكيرهم؛ لذلك كان أوَّل أمر في القرآن على الإطلاق هو الدعوة إلى العبودية لرب البرية كما قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ» (البقرة: ٢١)، وهو المنهج الذي سلكه الأنبياء، وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دعوتهم لأممهم قال تعالى: «وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ» (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى: «وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ» (الزخرف: ٤٥).

وتحقيق العبودية بمفهومها الجامع التي أرادها الله عز وجل تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة قال تعالى: «قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

ويأتي هذا المقال كدرس عملي تطبيقي لذلك المنهج السلفي الإصلاحي البنَّاء، وذلك من خلال بَعث النبي صلى الله عليه وسلم الصَحابيَّ الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه بهذه المهمة المباركة إلى اليمن مربيًا ومعلمًا وداعيًا وواليًا وقاضيًا. ويتجلى هذا بوضوح في هذا الحديث الشريف الذي نعرض لشيء من فقهه وفوائده.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن قال له: "إنك تَقدُمُ على قوم أهل كتاب فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه: عبادة الله. (وفي رواية: فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله)، (وفي رواية: أن يوحِّدوا الله تعالى)، ثم قال: فإن هم أطاعوا لك بذلك، (وفي رواية: فإذا عرفوا الله) فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم؛ فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب". (متفق عليه: البخاري (١٤٥٨) (٧٣٧٢) (١٤٩٦) ومسلم (١٩)).

الفوائد المستفادة من الحديث:

أولاً: فيه فضل معاذ رضي الله عنه؛ فقد ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم نائبًا عنه ومُبلغًا دعوته للناس وقد وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله: (وأعلمهم بالحلال والحرام مُعاذ بن جَبَل). (صحيح سنن الترمذي: ٣٧٩٠)، وأثنى عليه صلى الله عليه

وسلم بقوله: (نعمَ الرجلُ معاذُ بنُ جبل). (صحيح الجامع: ٦٧٧٠)، وخَصَّهُ بالمِنحَة النبوية الغالية فقالَ صلى الله عليه وسلم: (يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأحِبُّكَ). (صحيح سنن أبي داود: ١٣٤٧).

ثانيًا: فيه وجوب بعث الدعاة لدعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، وتعليمهم شرائع الإسلام، وأمرهم بالتزامها، وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك توجيه الدعاة وتبصيرهم بأحوال المدعوين كي يكونوا على دراية تامة بمن يدعونهم، وبما يُورِدُونَ عليهم من شُبهَات حتى يتمكنوا من ردِّها ودفعها بالحُجَج الدامغة الناصعة، والبراهين القوية الساطعة؛ وأهل الكتاب عندهم من الشبهات والخلل العقدي والجدل ما يحتاج إلى جهد دعوي كبير، ودعاة يتميزون بالفهم السديد، والعلم الغزير.

ولقد كانت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار معاذ رضي الله عنه لهذا الشأن العظيم؛ لما عُرِفَ عنه من العلم والفضل والورع والحكمة، وقوة الحجة وسعة الصدر، ثم هو من أهل بدر، وشهدها وهو ابن إحدى وعشرين سنة. فما أروع الاختيار، وما أجمل أن يترسم خطاه العلماء وأولياء الأمر، وذلك ببَثّ الدعاة إلى الآفاق للتعريف بالإسلام والدعوة إليه حتى تنهض الأمم وتسعد الشعوب.

ثالثًا: فيه بيَانُ مَنهَج الدَعوة إلى الله والبدء فيها والتدرج بالأهم فالأهم، وأنَّ أوَّل واجب يُدعَى إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ لأنهما أصل الدين وقطب رحاه، وبهما نجاة العبد في دنياه وأخراه. قال الخطابي رحمه الله: "في هذا الحديث من العلم: أنه رتَّب واجبات الشريعة، فقدم كلمة التوحيد، ثم أتبعها فرائض الصلاة لأوقاتها، وأخَّرَ ذكر الصدقة؛ لأنها إنما تجب على قوم من الناس دون آخرين" (أعلام الحديث في شرح البخاري ١/٧٢٦).

وقال القرطبي: الحديث حجة لمن يقول: "إن أول الواجبات التلفظ بكلمتي الشهادة مصدقًا بها" (المفهم ١/١٨١).

وقال ابن حزم: "أول ما يلزم كل أحد، ولا يصح الإسلام إلا به، أن يعلم المرء بقلبه علم يقين وإخلاص لا يكون لشيء من الشك فيه أثر، وينطق بلسانه ولا بد بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. وهو قول جميع الصحابة وجميع أهل الإسلام" (المحلى ١/٣).

رابعًا: فيه أن العبادات لا تصحُّ ولا يُعتَدُّ بهَا قَبلَ التَوحيد؛ فهو شرطٌ لقَبولها؛ لأنه أصل الدين وأساسه، وساق شجرته وعمود فُسطَاطه؛ وهو مُفتَتَح الدَعَوات والرسالات؛ ومن أجله خلق الله المخلوقات فقال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦)، أي يوحدوني ويعرفوني.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "المراد بعبادة الله توحيده، وبتوحيده الشهادة له بذلك، ولنبيه بالرسالة، ووقعت البداءة بهما؛ لأنهما أصل الدِّين الذي لا يصحُّ شيءٌ غيرهما إلا بهما". (فتح الباري: ٣/٣٥٨).

وفي ذلك ردٌّ واضح على بعض الجماعات المعاصرة الذين يتركون الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والخرافات والبدع، ويهتمون بدعوة الناس إلى بعض فضائل الأعمال بهدف الحرص على وحدة الأمة وجمع الكلمة-زعموا-، وتناسى هؤلاء أن كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة، وأنها منهج الأنبياء وأصل الدين الذي ارتضاه الله لعباده قال تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ» (الأنبياء: ٢٥)، ولذلك دعا النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل معاذًا وغيره ليبلغوا الناس رسالة الإسلام.

حقيقة التوحيد:

وحقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل

صلوات الله وسلامه عليهم هو إفراد الله- سبحانه وتعالى- بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، قال ابن القيم رحمه الله: " ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرِّين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) البخاري (٤٢٥) ومسلم (٣٣).

وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنَّها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأوَّل بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالداً، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار. بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان. وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً وحالاً: ما يوجب تحريم قائلها على النار.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، ولكن السر الذي ثَقَّل بطاقة ذلك الرجل هو أنه حصل له ما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات.

وتأمل أيضاً ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق- الموت- عن السير إلى القرية فجعل ينوء بصدره، ويعالج سكرات الموت، لأن ذلك كان أمراً آخر، وإيماناً آخر، ولذلك أُلْحِقَ بأهل القرية الصالحة..." (مدارج السالكين: ١/ ٣٣٠ - ٣٣٢) بتصرف يسير.

خامسًا: فيه رد على الأشاعرة وأهل الكلام الذين جعلوا أول الواجبات على المكلفين: هو الشك في وجود الله تعالى، ثم البحث وإثبات ذلك من طريق العقل! «سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا».

قال الإمام القرطبي رحمه الله في سياق ذمِّه لعلم الكلام: "ولو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقًا بالذم: إحداهما: قول بعضهم: إن أول واجب الشك؛ إذ هو اللازم عن وجوب النظر أو القصد إلى النظر! ثانيتهما: قول جماعة منهم: إن مَن لم يعرف الله بالطرق التي رتَّبوها لم يصح إيمانه". (فتح الباري: ١٣/ ٣٥٠ باختصار).

فالنبي عليه الصلاة والسلام أرسل معاذًا ليبلغ الناس أول الواجبات وأهم المهمات؛ ألا وهو شهادة التوحيد وعبادة الله، وأما الإيمان بوجود الخالق وربوبيته فهو مما جعله الله في قرارة نفوس البشر قبل خَلْقهم، قال الله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ » (الأعراف: ١٧٢).

بل إن الله قد فضح مَن جهر بإنكار وجوده سبحانه وتعالى؛ فقال عن فرعون وقومه:

« وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ » (النمل: ١٤)، "والبخاري رحمه الله في بداءَته كتاب التوحيد بهذا الحديث، يشير إلى الرَد على المتكلمين الذين جعلوا عمدتهم، في إثبات ما يثبتون، ونفي ما ينفون: العقل.

فهذا الحديث دَلَّ على أن أوَّل ما يجب على العبد: عبادة ربه تعالى بامتثال أوامره، واجتناب ما نهى عنه، وأن المقصود من الدعوة: وصول العباد إلى ما خُلقوا لَهُ، من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له. ولا سبيل لذلك إلا باتباع الوحي الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيجب أن يتبع، وأن يكون هو الأصل المعول عليه في معرفة عبادة الله، والإيمان به، وبرسله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، والإيمان بأسمائه وصفاته وعبادته بها، خلافاً لطريقة المتكلمين، الذين جعلوا عمدتهم عقولهم في إثبات وجود الله تعالى، بناء علىِ حدوث الكون، ثم إثبات صفاته نفياً وإثباتاً بالقياس العقلي، ثم إثبات النبوات، ثم بعد ذلك يتكلمون في السمعيات" (بتصرف من شرح كتاب التوحيد: ١/٤٢،٤٣، للشيخ عبد الله الغنيمان).

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يُؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه..." (شرح الطحاوية: ص١٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والمقصود هنا أنه ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه. فلم يُكَلَّفُوا أولاً بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ كانت قلوبهم تعرفه وتقر به، وكل مولود يولد على الفطرة، لكن عَرَضَ للفطرة ما غيَّرهَا والإنسان إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ ما في فطرته". اهـ (مجموع الفتاوى ٣٣٨/١٦).

فائدة مهمة ودفع شبهة:

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن إمام الحرمين الجويني رحمه الله أنه استدل بقوله صلى الله عليه وسلم: "فإذا عرفوا الله"، على أن أول واجب معرفة وجود الله تعالى، كما في "الاستقامة" (١٤٣/١)، مع أن في بعض ألفاظ الحديث ما يفسر المراد من قوله صلى الله عليه وسلم: "فإذا عرفوا الله"، مثل لفظ: "فليكن أول ما تدعوهم: إلى أن يوحِّدوا الله، فإذا عرفوا الله"، وفي لفظ: "فادعهم إلى عبادة الله، فإذا عرفوا الله"، والمعنى: فإذا عرفوا أنه يجب عليهم أن يُفردوا الله بالعبادة..." إلخ، فالمراد بالعبادة: التوحيد، والمراد بالتوحيد: الإقرار بالشهادتين؛ لأن ألفاظ الحديث يفسِّر بعضها بعضاً.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضي الله عنه في صدر الحديث: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب"، ولا شك أن أهل الكتاب يعرفون الله بمعنى أنهم لم ينكروا وجوده عز وجل، والشرك واقع عندهم في العبادة. "فلله ما أفقه من روى هذا الحديث بهذه الألفاظ المختلفة لفظاً والمُتَفقَةُ معنى، فعرفوا أن المراد من شهادة (ألا إله إلا الله) هو الإقرار بها علماً ونطقاً وعملاً خلافاً لما يظن بعض الجهَّال أن المراد من هذه الكلمة هو مجرد النطق بها، أو الإقرار بوجود الله أو ملكه لكل شيء من غير شريك، فإن هذا قد عرفه عُبَاد الأوثان، وأقروا به فضلاً عن أهل الكتاب ولو كان كذلك لم يحتاجوا إلى الدعوة إليه"، (تيسير العزيز الحميد ص ١٢٦).

وللحديث بقية في العدد القادم بمشيئة الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

محادثة الرجال للنساء بين الإفراط والتفريط

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد..

إعداد/ المستشار/أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

فقد خلق الله آدم عليه السلام، وخلق منه حواء عليها السلام ليسكن إليها، قال تعالى: «هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» (الأعراف: ١٨٩)، ومنهما خلق الله الرجال والنساء، وركب في كل منهما شهوات تهفو إليها نفوسهما، قال الله تعالى «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ» (آل عمران: ١٤)، وجعل الزواج نظام الناس العام، وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزا في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ، قال تعالى: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم: ٢١)، ووضع ضوابط للتعامل بينهما إن كانا أجنبيين، ومن هذه الضوابط، ضوابط المحادثة، التي لابد أن يراعيها الطرفان، بغير إفراط أو تفريط، وسوف نتعرض لحكم المحادثة بينهما وضوابطها في ضوء آيتين من آيات الله وردتا في سورة الأحزاب، في قوله تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ» (الأحزاب: ٥٣)، وقوله تعالى: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا» (الأحزاب ٣٢)، وذلك على النحو الآتي:

الوقفة الأولى: عموم الحكم:

الخطاب في الآيتين، وإن كان موجهًا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه يشمل كذلك نساء المؤمنين، إذ إن كل خطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لنساء المؤمنين، ما لم يأت دليل على الخصوصية (أي اختصاصهن بالحكم)، وليس ثمة دليل على اختصاصهن بالأحكام الواردة بهاتين الآيتين، فشمل الحكم نساء المؤمنين.

الوقفة الثانية: تفسير الآيتين:

١- تفسير الآية الأولى:

قال القرطبى - رحمه الله- في " تفسيره ": «الثامنة: قوله تعالى: «وإذا سألتموهن متاعًا» روى أبو داود الطيالسي عن أنس بن مالك قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع.. الحديث. وفيه: قلت: يا رسول الله، لو ضربت على نسائك الحجاب، فإنه يدخل عليهن البر والفاجر، فأنزل الله عز وجل: «وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب»، واختلف في المتاع، فقيل: ما يتمتع به

من العواري. وقيل فتوى. وقيل صحف القرآن. والصواب أنه عام في جميع ما يمكن أن يطلب من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا.

التاسعة: في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض، أو مسألة يستفتين فيها، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة، بدنها وصوتها، كما تقدم، فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها، أو داء يكون ببدنها، أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها.

الحادية عشرة: قوله تعالى: «ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن» يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية. وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته.» اهـ.

قال محمد الطاهر بن عاشور - رحمه الله - في " تفسيره ": وابتدأ بالتحذير من هيئة الكلام فإن الناس متفاوتون في لينه، والنساء في كلامهن رقة طبيعية، وقد يكون لبعضهن من اللطافة ولين النفس ما إذا انضم إلى لينها الجبلي قربت هيئته من هيئة التدلل لقلة اعتياد مثله إلا في تلك الحالة. فإذا بدا ذلك على بعض النساء ظن بعض من يشافهها من الرجال أنها تتحبب إليه، فربما اجترأت نفسه على الطمع في المغازلة فبدرت منه بادرة تكون منافية لحرمة المرأة، بله أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم- اللاتي هن أمهات المؤمنين.

والخضوع: حقيقته التذلل، وأطلق هنا على الرقة لمشابهتها التذلل. والباء في قوله بالقول يجوز أن تكون للتعدية بمنزلة همزة التعدية، أي لا تخضعن القول، أي تجعلنه خاضعًا ذليلاً، أي رقيقًا متفككًا. ويجوز أن تكون الباء بمعنى في، أي لا يكن منكن لين في القول.

والنهي عن الخضوع بالقول إشارة إلى التحذير مما هو زائد على المعتاد في كلام النساء من الرقة وذلك ترخيم الصوت، أي ليكن كلامكن جزلا.

والمرض: حقيقته اختلال نظام المزاج البدني من ضعف القوة، وهو هنا مستعار لاختلال الوازع الديني مثل المنافقين ومن كان في أول الإيمان من الأعراب ممن لم ترسخ فيه أخلاق الإسلام، وكذلك من تخلقوا بسوء الظن فيرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، وقضية إفك المنافقين على عائشة- رضي الله عنها- شاهد لذلك.

الوقفة الثالثة: حكم صوت المرأة:

قال الشيخ عبدالرحمن الجزيري - رحمه الله - في " الفقه على المذاهب الأربعة ": «اختلف العلماء في صوت المرأة فقال بعضهم: إنه ليس بعورة، لأن نساء النبي كن يروين الأخبار للرجال، وقال بعضهم: إن صوتها عورة، وهي منهية عن رفعه بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب، إذا كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها، وقد قَالَ اللّه تَعَالى: «ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن»؛ فقد نهى اللّه تَعَالى عن استماع صوت خلخالها؛ لأنه يدل على زينتها، فحرمة رفع صوتها أولى من ذلك، ولذلك كره الفقهاء أذان المرأة لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت، والمرأة منهية عن ذلك». اهـ.

والراجح أن صوتها ليس بعورة، إذا أمنت الفتنة، وهذا هو قول جمهور العلماء من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة.

قال الطحاوي الحنفي - رحمه الله- في " حاشيته على المراقى "، نقلاً عن ابن أمير حاج، قوله: «الأشبه أنه ليس بعورة، وإنما يؤدي إلى الفتنة» اهـ.

الوقفة الرابعة: جواز المحادثة للحاجة:

كلام المرأة مع الرجل الأجنبي قد أجازه الفقهاء عند الحاجة، ومن الحاجة: أن تباشر مع الرجل البيع والشراء وسائر المعاملات المالية الأخرى، أو أن تسأل المرأة الرجل العالم عن مسألة شرعية، أو أن يسألها الرجل، إذا كانت عالمة بما يسألها، وغير ذلك من الأمور الضرورية التي تستدعي كلام المرأة مع الرجل.

فقد جاء في حاشية الطحاوي الحنفي، نقلاً عن أبي العباس القرطبي، ما نصه: «فإنا نجيز الكلام مع النساء للأجانب ومحاورتهن عند

الحاجة إلى ذلك. ولا نجيز لهن رفع أصواتهن، ولا تمطيطها، ولا تليينها وتقطيعها، لما في ذلك من استمالة الرجال إليهن، وتحريك الشهوات منهن» اهـ.

الوقفة الخامسة: ضوابط المحادثة:

تضمنت الآيتان أحكامًا متوازنة في علاقة النساء بالرجال الأجانب، فلم تمنع محادثة أحدهما للآخر فيما تدعو الحاجة إليه، وإنما أمرت النساء بالقول المعروف، وعدم الخضوع به حال الحديث معهم، لئلا يؤدي ذلك إلى طمع الرجال فيهن. ويمكن تلخيص الضوابط التي يلزم مراعاتها عند الكلام بينهما، كالتالي:

١- أن يكون الكلام لحاجة، وتقدر الحاجة بقدرها ولا يجوز التوسع في الكلام والانبساط فيه لغير حاجة حقيقية.

٢- أن لا يكون في الكلام خضوعٌ، ولينٌ، وتكسيرٌ، وترقيقٌ، وإيماءٌ، وهزلٌ، حتى لا يكون مدخلاً إلى تحريك الغرائز وإثارة الشهوة.

٣- أن يكون الكلام في المعروف، أي في غير المحرم شرعاً.

٤- أن لا يُفضي الكلام إلى خلوة محرمة بينهما، أو دوام واستمرار عليه.

الوقفة السادسة: بعض صور المحادثة، وأحكامها:

١- إلقاء السلام على النساء:

لا بأس أن يسلم الرجل من غير مصافحة على المرأة الأجنبية عنه إذا كانت عجوزاً، أما السلام على المرأة الشابة الأجنبية فلا ينبغي إذا لم يؤمن من الفتنة، وهذا هو الذي تدل عليه أقوال العلماء رحمهم الله.

سُئلَ الإمام مَالك هَلْ: يُسَلَّمُ عَلَى الْمَرْأَةِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمُتَجَالَّةُ (وهي العجوز) فَلا أَكْرَهُ ذَلِكَ، وَأَمَّا الشَّابَّةُ فَلا أُحِبُّ ذَلِكَ.

وعلَّل الزرقاني في شرحه على الموطأ عدم محبة مالك لذلك: بخوف الفتنة بسماع ردها للسلام.

وفي الآداب الشرعية ذكر ابن مفلح أن ابن منصور قال للإمام أحمد: التسليم على النساء؟ قال: إذا كانت عجوزاً فلا بأس به.

وقال صالح (ابن الإمام أحمد): سألت أبي يُسَلَّمُ على المرأة؟ قال: أما الكبيرة فلا بأس، وأما الشابة فلا تستنطق. يعني لا يطلب منها أن تتكلم برد السلام.

وقال النووي - رحمه الله- في كتابه " الأذكار ": وإن كانت أجنبية، فإن كانت جميلة يخاف الافتتان بها لم يسلم الرجل عليها، ولو سلم لم يجز لها رد الجواب، ولم تسلم هي عليه ابتداء، فإن سلمت لم تستحق جواباً فإن أجابها كره له. وإن كانت عجوزاً لا يفتتن بها جاز أن تسلم على الرجل، وعلى الرجل رد السلام عليها. وإذا كانت النساء جمعاً فيسلم عليهن الرجل. أو كان الرجال جمعاً كثيراً فسلموا على المرأة الواحدة جاز إذا لم يُخَفْ عليه ولا عليهن ولا عليها أو عليهم فتنة. روى أبو داود عن أَسْمَاء ابْنَة يَزِيدَ قالت: مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ في نِسْوَة فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. صححه الألباني في صحيح أَبي داود. وروى البخاري عن سَهْلِ بن سعد قَالَ: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ تُرْسِلُ إِلَى بُضَاعَةَ (نَخل بالْمَدِينَة) فَتَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ في قِدْرٍ وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ (أي تطحن) فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ انْصَرَفْنَا وَنُسَلِّمُ عَلَيْهَا فَتُقَدِّمُهُ إِلَيْنَا» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه- في " الفتح " عن جواز سلام الرجال على النساء، والنساء على الرجال، قال: «الْمُرَاد بِجَوَازِه أَنْ يَكُون عِنْد أَمْن الْفِتْنَة. ونَقَل عن الْحَلِيمِيِّ أنه قال: كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لِلْعِصْمَة مَأْمُونًا مِنْ الْفِتْنَة، فَمَنْ وَثِقَ مِنْ نَفْسه بِالسَّلَامَة فَلْيُسَلِّمْ وَإِلَّا فَالصَّمْت أَسْلَم. ونَقَل عَنْ الْمُهَلَّب أنه قَال: سَلَام الرِّجَال عَلَى النِّسَاء وَالنِّسَاء عَلَى الرِّجَال جَائِز إِذَا أَمِنَتْ الْفِتْنَة» اهـ.

وأما المخاطبة من أجل تحقيق مصلحة دينية كالاستفسار مثلاً عن تفسير آية أو حديث أو السؤال عن حكم فقهي فهو جائز أيضاً، إذا كان المسؤول ممن يقدر على ذلك، وينبغي أيضاً الانتباه إلى عدم الاسترسال في الكلام الخارج عن موضوع السؤال حتى لو لم يكن فيه شيء، والشيطان هنا قد يضحك على كل منهما فيمنيهما بأنهما صالحان طيبان وأنه لا خوف عليهما من الاسترسال في الكلام، فهما ليسا بمنزلة الأشرار، وهذا من مخادعة الشيطان لهما. فليحذر المتخاطبون من هذا المنزلق الذي قد يجر إلى ما لا تحمد عقباه!

فليتق الله الجميع، وليلتزموا بالضوابط الشرعية للمحادثة، وليعلموا أن الخير كله في اتباع الشرع، والشر كله في عدم التزامه.

والله الموفق.

تحذير الداعية
من القصص الواهية

الحلقة (٢٠٠)

قصة اللقمة التي أعتق بها الحسن بن علي غلامه

إعداد/ **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت لوجودها في كتب السُّنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- هناك حملة ضارية خاصة في هذه الأيام في القنوات والصحف من العلمانيين ومن دعاة التقريب للطعن في السُّنة، ومن أهم الأسباب التي تساعدهم على ذلك هذه القصص الواهية، ولقد غرَّهم وجودها في كُتب السنة الأصلية، ومنها هذه القصة، وزادهم غرورًا جهلهم بقواعد التحديث وعدم تمييز الطيب من الخبيث في الحديث.

٢- لقد اغتر بهم العوام، وزادهم غرورًا وجودهم على القنوات وفي الصحف يدَّعون أنهم أصحاب التفكير الحر، ألا إنهم أهل الهوى والضلال، والجهل والإضلال، اتبعوا أهواءهم، فزاغت قلوبهم فأخطأوا الأصول والتي في مقدمتها كما بيَّن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٦/٤٦٣، ٧/٦٦٥): «العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح». اهـ. فكيف بفاقد الاثنين، فلا عقل صريح ولا علم يعرف به النقل الصحيح، وسنبين لهؤلاء المبتدعين الطاعنين في السنة بمثل هذه القصة أنها قصة واهية، وهذا هو التخريج والتحقيق:

ثانيًا: متن القصة:

رُوِيَ عن الحسن بن علي "أنه دخل المتوضأ فأصاب لقمة -أو قال: كسرة- في مجرى الغائط والبول، فأخذها فأماط عنها الأذى فغسلها غسلاً نعمًا، ثم دفعها إلى غلامه فقال: يا غلام، ذكِّرني بها إذا توضأت. فلما توضأ قال للغلام؟ يا غلام، ناولني اللقمة -أو قال: الكسرة- فقال: يا مولاي، أكلتها. قال: اذهب فأنت حر لوجه الله. قال: فقال له الغلام: يا مولاي، لأي شيء أعتقتني؟ قال: لأني سمعت من فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تذكر عن أبيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من أخذ لقمة أو كسرة من مجرى الغائط والبول فأخذها فأماط عنها الأذى وغسلها غسلاً نعمًا ثم أكلها؟ لم تستقر في بطنه حتى يُغفر له، فما كنت لأستخدم رجلاً من أهل الجنة"..

ثالثًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي في «مسنده» (١٢/١١٧) (ح٦٧٥٠) قال: حدثنا عيسى بن سالم، حدثنا وهب بن عبد الرحمن القرشي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن الحسن بن علي أنه دخل المتوضأ.. القصة.

قُلْتُ: والحديث في «مسند أبي يعلى»، من «مسند فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم» الحديث (١٢).

رابعًا: التحقيق:

١- قال الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري في كتابه «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» (٤/٢٩٢، ٢٩٢) (ح٣٥٩٥): «قال ابن الجوزي في «كتاب الموضوعات»: هذا حديث موضوع والمتهم بوضعه وهب بن عبد الرحمن، وهو وهب بن وهب القاضي، وإنما دلَّسه عيسى بن سالم وفي «إتحاف الخيرة» (٥/٤٤٨، ٤٤٩) (ح٤٩٨٧) قال: وقد دلسه مرة أخرى فقال: عبد الرحمن المدني، وقد دلسه محمد بن أبي السري

العسقلاني فقال: «وهب بن زمعة القرشي»، وهو: وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود، وهذا كله جهل من الرواة، بما في ضمن ذلك من الخيانة على الإسلام؛ لأنه قد يبني على الحديث حكم فيعمل به لحكم ظن الراوي بالمجهول، ثم انظر إلى جهل من وضع هذا الحديث فإن اللقمة إذا وقعت في مجرى البول، وداخلتها النجاسة فربَت لا يُتصور غسلها، وكأن الذي وضع هذا قصد أذى المسلمين والتلاعب بهم».

٢- قال الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» (٧٨٨/١٠) (ح٢٤٢٦): «وهب هذا هو أبو البختري القاضي معروف بالكذب ووضع الحديث، وهذا الحديث مما افتراه وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وكشف أمر هذا الحديث فأجاد».

٣- قلت: قول الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية»: «قد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وكشف أمر هذا الحديث فأجاد». اهـ. حيث كشف عن التدليس فاستبانت العلة.

٤- نوع التدليس: هو «تدليس الشيوخ».

قال الإمام ابن الصلاح في كتابه «علوم الحديث» النوع (١٢): «تدليس الشيوخ: وهو أن يروي عن شيخ حديثًا سمعه منه فيسميه، أو يُكنيه، أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف به كي لا يعرف». اهـ

ثم قال: «وفيه تضييع للمروي عنه، وتوعير لطريق معرفته على من يطلب الوقوف على حاله وأهليته ويختلف الحال في كراهية ذلك بحسب الفرض الحامل عليه، فقد يحمله على ذلك كون شيخه الذي غيَّر سمته غير ثقة». اهـ.

قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٣٠/١): «وتختلف الحال في كراهته بحسب غرضه، فإن كان لكون المغير اسمه ضعيفًا فيدلسه حتى لا يظهر روايته عن الضعفاء فهو شر هذا القسم». اهـ.

٥- تطبيق «تدليس الشيوخ» على سند هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة، لقد نقل الإمام البوصيري عن الإمام ابن الجوزي أن الراوي عيسى بن سالم شيخ الحافظ أبي يعلى روى عن وهب بن وهب القاضي فدلسه عيسى بن سالم، فقال: وهب بن عبد الرحمن القرشي. اهـ.

قلتُ: وبهذا يكون بهذا التدليس قد سماه بما لا يعرف به كي لا يعرف، وفيه تضييع للمروي عنه وهو: وهب بن أبو البختري القاضي، وتوعير لطريق معرفته على من يطلب الوقوف على حاله وأهليته. كما ذكر ذلك الإمام ابن الصلاح وبيناه آنفًا.

٦- تطبيق على أن تدليس الشيوخ فيه تضييع للمروي عنه وتوعير لطريق معرفته على من يطلب الوقوف على حاله وأهليته.

وهذا ما حدث للإمام الحافظ الهيثمي بالنسبة لهذا الخبر الذي جاءت به قصة «اللقمة التي أعتق بها الحسن بن علي غلامه»، حيث أوردها في «مجمع الزوائد» (٢٤٢/٢) ونظرًا لتدليس الشيوخ الذي بيناه آنفًا بالنسبة لهذه القصة والذي قام به الراوي عيسى بن سالم مما أدى إلى تضييع المروي عنه، وهو وهب بن وهب أبو البختري القاضي، وتوعير الطريق على الإمام الهيثمي لمعرفته والوقوف على حاله وأهليته حتى قال الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٤٢/٤) في تخريج وتحقيق هذا الخبر الذي جاءت به القصة: «رواه أبو يعلى عن عيسى بن سالم عن وهب بن عبد الرحمن القرشي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات». اهـ.

قلت: انظر إلى قول الإمام الحافظ الهيثمي: «عن وهب بن عبد الرحمن القرشي ولم أعرفه». اهـ.

وانظر إلى قول الإمام ابن الصلاح في علوم الحديث والذي أوردناه آنفًا في خطر تدليس الشيوخ خاصة إذا كان الراوي ضعيفًا، قال: «فيه تضييع للمروي عنه وتوعير لطريق معرفته على من يطلب الوقوف على حاله وأهليته». اهـ.

قلت: وبالنظر إلى قول الإمامين: ابن الصلاح والهيثمي نستنتج توعير طريق معرفة الراوي على الإمام الهيثمي حتى قال: «لم أعرفه». اهـ.

قلتُ: هذا ما قاله الإمام الهيثمي في «المجمع» كتاب: العتق، باب: عتق الأخيار.

وتدليس الشيوخ له أثره السيئ، حيث قال الإمام الصنعاني في «توضيح الأفكار» (١/٣٦٨) المسألة (٣٣): «وفي التدليس تضييع للمروي عنه بعدم معرفة عينه ولا حاله وفيه تضييع للحديث المروي أيضًا بأن لا يثنيه له فيصير بعض رواته مجهولاً، فهذه مفسدة عظيمة». اهـ.

قلتُ: وهذا تبين من التطبيق على سند هذه القصة حيث قال الهيثمي: «عن وهب بن عبد الرحمن القرشي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات». اهـ.

٧- وفي تدليس الشيوخ كما بينا توعير لطريق معرفة المروي عنه فلم يعرفه من يطلب الوقوف على حاله فيقول مرة لا أعرفه، بل قد يصبح الطريق الوعر مظلمًا فلا يميز بين الضعيف وبين الثقة، ولذلك نجد الإمام الهيثمي ذكر الخبر الذي جاءت به هذه القصة مرة أخرى في «مجمع الزوائد» (٣٤/٥) في كتاب «الأطعمة»، باب: «إكرام الخبز وأكل ما يسقط»، ليستدل بالقصة على ترجمة الباب ثم خرجه وحققه فقال: «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات». اهـ.

فانظر قوله هذا، ثم انظر قوله الذي أوردناه آنفًا في «مجمع الزوائد» (٢٤٢/٤): «رواه أبو يعلى عن عيسى بن سالم عن وهب بن عبد الرحمن القرشي ولم يعرفه وبقية رجاله ثقات». اهـ.

فتدليس الشيوخ أدى إلى توعير الطريق الموصلة للمتن ومفسدة عظيمة في الإخبار عن طريق المتن فتردد الإمام الهيثمي في وهب بن عبد الرحمن المدني فلم يهتد للوقوف على حاله وأهليته فمرة قال: «لم أعرفه»، وأخرى قال: «ثقة» كما بينا آنفًا، وذلك نتيجة تدليس الشيوخ في سند هذا الخبر الذي جاءت به القصة والذي كشفه الإمام ابن الجوزي حيث قال: «هذا حديث موضوع والمتهم به وهب بن عبد الرحمن وهو وهب بن وهب القاضي وإنما دلسه عيسى بن سالم». اهـ كما بينا آنفًا، ولقد أقر الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» ما ذكره الإمام ابن الجوزي فقال كما بينا آنفًا: «وهب هذا هو أبو البختري القاضي معروف بالكذب ووضع الحديث، وهذا الحديث مما افتراه وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وكشف أمر هذا الحديث فأجاد.

رابعًا: حال أبي البختري الذي غُيِّر اسمه:

أبو البختري الذي غُير اسمه إلى وهب بن عبد الرحمن القرشي وهو ما يسمى بتدليس الشيوخ هو علة هذا الحديث الذي جاءت به القصة، وهذا بيان حاله وأهليته بأقوال أئمة الجرح والتعديل:

١- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/ ٣٥٣/ ٩٤٣٤): «وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القاضي أبو البختري القرشي المدني، عن هشام بن عروة، وجعفر بن محمد، وعنه المسيب بن واضح، والربيع بن ثعلب، وجماعة، سكن بغداد متهم في الحديث: قال أحمد: كان يضع الحديث وضعًا فيما نرى. قال يحيى بن معين: كان يكذب عدو الله». اهـ.

وقال عثمان بن أبي شيبة: «أرى أنه يبعث يوم القيامة دجالاً». اهـ. ثم أورد الإمام الذهبي خمسة أحاديث، ثم قال: «وهذه أحاديث مكذوبة». اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٧٤/٣): «وهب أبو البختري القاضي، كان ممن يضع الحديث على الثقات، كان إذا جنَّه الليل سهر عامة ليله يتذكر الحديث ويضعه ثم يكتبه ويحدّث به، لا تجوز الرواية عنه، ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

٣- وقال الإمام النسائي: «متروك الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح للإمام النسائي له معناه فقد بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) قال: «كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٤- وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٨٦): «وهب بن وهب أبو البختري القاضي، سكتوا عنه». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح للإمام البخاري له معناه فقد بينه الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص٤٨) فقال: «ثم أهم من ذلك أن نعلم بالاستقراء التام عُرف ذلك الإمام الجهبذ واصطلاحه، ومقاصده بعباراته الكثيرة، أما قول البخاري: «سكتوا عنه» فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، وعلمنا مقصده بها بالاستقراء أنها بمعنى: تركوه». اهـ.

ثم قال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٨٨): «ثم اصطلاحات لأشخاص ينبغي التوقف عليها: من ذلك أن البخاري إذا قال في الرجل: «سكتوا عنه» أو: «فيه نظر» فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده ولكنه لطيف العبارة في التجريح فليعلم ذلك». اهـ.

٥- وقال الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٩٢٩/٣٢٤/٤): «وهب بن وهب أبو البختري القاضي المدني، حدثني آدم بن موسى، قال: سمعت البخاري، قال: وهب بن وهب أبو البختري سكتوا عنه، كان وكيع يرميه بالكذب». اهـ. ثم أخرج أحاديث من أكاذيبه ثم قال: «لا أعلم لأبي البختري حديثًا مستقيمًا كلها بواطيل». اهـ.

٦- وذكره الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٦٣/٧) (١٩٩٠/١)، وأخرج أقوال أئمة الجرح والتعديل التي ذكرناها آنفًا في وهب بن وهب أبي البختري ثم ختم ترجمته فقال: «ولأبي البختري من الحديث عن الثقات غير ما ذكرت وهو ممن يضع الحديث».

٧- وقال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢٨٢/٦) (٩٠٦٨/٨٣): وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة القاضي أبو البختري القرشي المدني، قال أحمد بن حنبل أيضًا: هو أكذب الناس.

وكذا قال إسحاق بن راهويه، وكان وكيع يرميه بالكذب، وكذبه حفص بن غياث.

وقال شعيب بن إسحاق: «كذاب هذه الأمة أبو البختري».

وقال ابن الجارودي: «كذاب خبيث، كان عامة الليل يضع الحديث».

وقال أبو طالب عن أحمد: ما أشك في كذبه وأنه يضع الحديث.

واتهمه مالك بن أنس فيما حكاه ابن شاهين.

وقال النسائي في «التمييز»: «ليس بثقة ولا يكتب حديثه، كذاب خبيث».

وقال ابن سعد: لم يكن في الحديث بذاك، يروي منكرات، فترك حديثه».

وقال ابن سعد: «لم يكن في الحديث بذاك، يروي منكرات، فترك حديثه».

وقال الحاكم: «روى عن جعفر، وهشام الموضوعات». اهـ.

خامسًا: الاستنتاج:

نستنتج من أقوال هؤلاء الأئمة أن: وهب بن وهب أبا البختري كذاب، بل أكذب الناس خبيث يضع الحديث وضعًا، كان يكذب عدو الله وهو دجال، أحاديثه كلها بواطيل، قاصّ كذاب».

ومن هذا يتبين أن قصة «اللقمة التي أعتق بها الحسن بن علي غلامه قصة واهية باطلة موضوعة، قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٧٤/٢): في النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع».

ثم بين رتبته فقال: «شر الضعيف وأقبحه»، ثم حكم روايته فقال: «تحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

كيف بلقمة وقعت في مجرى الغائط والبول تداخلتها النجاسة فربت تُغسل وتؤكل بكذب مختلق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟!

سادسًا: دين الإسلام دين الطهارة:

لم يوجد دين اعتنى بالنظافة كما اعتنى دين الإسلام فجعل الطهارة من الأمور التي تعبدنا الله بها إذ جعلها شرطًا في صحة كثير من العبادات ولها في الإسلام المنزلة السامية فهي من الايمان بمنزلة النصف من الكل فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

نظرة نقدية لمنهج الأشاعرة في إثباتهم الصفات السلبية على حساب صفاته تعالى الخبرية والاختيارية

الحلقة (٣٢)

إعداد/ **د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمعاذ الله أن يكون مبتغانا سوى: تصحيح عقيدة التوحيد مما شابها من محدثات، وإزاحة ما اعتور صفاءها الذي كانت عليه إبان عهد الرسول وصحابته وتابعيهم بإحسان، والرجوع بالأمة إلى ما صلح به أولها على حد ما جاء في عبارة مالك إمام دار الهجرة، وذلك إبراء للذمة وإقامة للحجة ودرءًا للشبهة..

ونقول: إنه قد سبق أن تحدثنا عن منهج الأشاعرة فيما أوجبوه لله من الصفات السلبية إجمالاً، وذكرنا في انتقاده كيف أفضى سلوكهم هذا الطريق إلى نفي صفات أفعاله سبحانه وتعطيل مئات النصوص الواردة بشأنها في القرآن والسنة، ورأينا كيف خالفوا بنهجهم هذا؛ طريقة أهل السنة المبتناة على النفي المجمل والإثبات المفصل.

أ- إلزامات كلام الأشاعرة عن الصفات السلبية على التفصيل:

وحديثنا هنا عن كلام الأشاعرة بشأن الصفات السلبية على التفصيل، إذ ما من شك في أن وصفهم الله بـ (القِدم) أو اشتقاقهم منه اسم (القديم) له سبحانه ابتداع في الدين، يقول الراغب في (المفردات): "لم يَرد في شيء من القرآن والآثار الصحيحة: (القديم) في وصف الله، والمتكلمون يستعملونه ويصفونه به"، ويقول ابن أبي العز في شرحه للطحاوية ص٤٦: "أدخل المتكلمون في أسماء الله (القديم)، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: (هذا قديم) للعتيق، و(هذا حديث) للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في (المتقدم على غيره) لا فيما (لا يسبقه عدم)".

ويقول بعد أن ساق الأدلة على موافقة القرآن لما جاء في لغة العرب، ومن ثم عدم جواز أن يكون (القِدم) اسماً أو وصفاً للخالق شرعا، على خلاف ما جنح إليه الأشاعرة: "وأما إدخال (القديم) في أسماء الله فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف منهم ابن حزم، ولا ريب أنه إذا كان مستعملاً في نفس التقدم، فإن ما تقدم على الحوادث كلها أحق بالتقدم من غيره، لكن أسماء الله هي: الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يُمدح به، والتقدم في اللغة، مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى، وجاء الشرع باسمه: (الأول)، وهو أحسن لأنه يُشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف (القديم)".

كذا بما يعني أن الإمام الطحاوي حين استخدم عبارة "قديم بلا ابتداء" أراد أن يستدرك على الأشاعرة لينفي ما عَنَوه بصفة القدم من أنه المتقدم على غيره، أو ليُثبت على الأقل أن الأولى أن تُقيَّد الصفة لتُحمل على معنى يليق به سبحانه ويفاد منه أنه قبل الخلق جميعاً بلا ابتداء، ولا يسبقه عدم.. على أن ما قيل في انتقاد الأشاعرة لاستخدام وصف (القِدم) بحقه تعالى، يقال نظيره في إثباتهم لصفة (البقاء) فإن نفي الأشاعرة للعدم المقابل للبقاء، أولى منه اسم ووصف (الآخِر) لَما جاء في نحو قوله تعالى في الإثبات: (هو الأول والآخِر.. الحديد/٣).

وتفسيرهما، هو: ما جاء في حديث مسلم: (أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء)، قال ابن جرير في تفسيره: "(هو الأول) قبل كل شيء بغير حدٍّ، و(الآخر) بعد كل شيء بغير نهاية، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجوداً سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال: (كل شيء هالك إلا وجهه.. القصص/٨٨)".

وقال الزجاج في كتابه (تفسير الأسماء) ص٦٠: "معنى وصفنا الله بأنه أول: أنه المتقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها.. و(الآخِر) هو المتأخر عن الأشياء كلها ويبقى بعدها، وكان عليه السلام يقول في دعائه.. وذكر الحديث"، وقال الخطابي في كتابه (شأن الدعاء) ص٨٧، ٨٨: "(الأول) هو السابق للأشياء كلها، الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأولية إذ كان موجوداً ولا شيء قبله ولا معه.. و(الآخِر): هو الباقي بعد فناء الخلق، وليس معنى الآخر

ما له الانتهاء، كما ليس معنى الأول ما له الابتداء، فهو الأول والآخر وليس لكونه أولٌ ولا آخر" وذكر الحديث.

وقال الحليمي في كتابه (المنهاج) ١/١٨٨ ونقله عنه البيهقي في (الأسماء والصفات) ص١٩: "(الأول): هو الذي لا قبل له، والآخر هو الذي لا بعد له، وهذا لأن (قبل وبعد) نهايتان، فـ (قبل) نهاية الموجود من قبل ابتدائه، و(بعد) غايته من بعد انتهائه، فإذا لم يكن له ابتداء ولا انتهاء لم يكن للموجود قبلٌ ولا بعدٌ، فكان هو الأول والآخر"، وقال البيهقي في (الاعتقاد) ص٦٣: "(الأول) هو الذي لا ابتداء لوجوده.. و(الآخر) هو الذي لا انتهاء لوجوده".

كذا بما يعني أن في وصفي القرآن وما جاء في نحو: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.. الرحمن/٢٧)، ما يغني عما اخترعته الأشاعرة من صفات لم يرد بها نص في كتاب ولا سنة وما تفوه بها أحد من القرون الثلاثة الخيِّرة الفاضلة، وأنه يجب أن يسعنا ما وسعهم، فقد فهموا من قوله تعالى: (هو الأول والآخر) ما ذكرنا، كما فهموا من آية الرحمن أنه "تعالى وحده الذي لا يموت والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون - على حد قول ابن كثير في تفسير آية آل عمران/١٨٥ - آخرَ كما كان أولاً"، ولعل هذا ما كانت ترمي إليه عبارة الطحاوي: "دائم بلا انتهاء".

ب- كلام الأشاعرة عن مخالفة الحوادث والقيام بالنفس، وما يكمن وراءه من خطر على عقيدة توحيد الصفات:

كما أن تنزيه الأشاعرة عما لم يَرد به نص من نحو تنزيههم الله عن (الحيز والجهة والجرمية والعرضية والجزئية) ولوازم ذلك تحت مسمى (مخالفته تعالى للحوادث)، أيضاً كان ولا يزال مثار جدل، فكلامهم هذا حق أريد بها باطل، ذلك أن تنزيههم هذا الذي اتبعوا فيه الجهمية والمعتزلة، أفضى بهم إلى نفي وإنكار صفاته الفعلية من نحو: (علوه) تعالى و(فوقيته) و(استوائه على عرشه) على الرغم من ثبوتها في نحو قوله: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ .. الرعد/٢)، (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ .. الأنعام/١٨)، (أأمنتم من في السماء.. الملك/١٦).. إلخ.

وكذا إلى نفي صفاته الخبرية من نحو: (الرضا والغضب والوجه واليد) إلى آخر ما تضافرت عليه نصوص الكتاب والسنة، وهم بمخالفتهم الطريقة السائدة في القرآن والسنة ومنهج السلف لتنزيهه تعالى، وباتباعهم المعتزلة والفلاسفة وأضرابهم من أهل البدع وانتهاج طريقتهم، سلبوه كل كمال؛ فقد طفقوا يقولون: ننزه الله عن (الأعراض والأبعاض والحدود والجهات والحوادث)، فيسمع الغرُّ المخدوع هذه الألفاظ فيتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الإطلاق من معان التنقيص في حقه تعالى ومماثلته للحوادث وعدم قيامه بنفسه، فلا يشك أنهم يمدحونه ويمجدونه ويعظمونه، ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الألفاظ فيرى تحتها الإلحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الله عما يستحقه من صفات الكمال.

ولأجل كل ذا وجب "الكف عن إطلاق ذلك إذ لم يأت فيه نص، ولو فرض أن المعنى صحيحٌ؛ فليس لنا أن نتفوه بشيء لم يأذن به الله خوفاً من أن يدخل القلبَ شيءٌ من البدعة" على حد قول الذهبي في السِّير ٢٠/٨٦، كما وجب القول بأن "نفيَ صفة عن الله لابد أن يدل عليه الدليل من الكتاب أو السنة كما هو الحال في الإثبات..

وأيضاً لابد من بيان صحة ما قاله الأشاعرة من أن صفات الخالق لا تماثل صفات المخلوقين، لأنه سبحانه (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ .. الشورى/١١)، وهذا باتفاق أهل السنة والجماعة وكذلك الأشاعرة، لكن فيصل الافتراق بينهما في هذه المسألة، هو أن الأشاعرة جعلوا ما أثبته الله لنفسه من صفات - وهي من وجهٍ آخر يوصف بها المخلوق - سبباً في نفي الصفة عن الخالق بدعوى المماثلة، وإلا فصفة الخالق هي على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله، وصفة المخلوق على الوجه الذي يليق بنقصه وخلقه..

وأيضاً فإن النص من قِبل الأشاعرة على أن (المستحيلات) على الله هي: (العَرَض والجوهر والجِرْم والمكان)؛ تنصيصٌ باطل، لأنه تكليف بما لم يَرِد به الدَّليل، بل كانت عامة الصحابة تسأل النبي عما يَجب عليهم من شرائع الدين فلم يكلفهم بمعرفة ذلك أو يسميها لهم، كما لم يُؤثر عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين أن أحداً منهم نَقل أو أوجب نفيَ وصف الله بها، فكيف يجعل الأشاعرة معرفة هذه الصفات قسيمة لمعرفة الصفات الثابتة بالكتاب والسنة؟؛ وهل عقول العامة تستوعب معاني هذه الألفاظ التي لا يعرفونها لا من كتاب ولا من سنة؟.

ثم إن إطلاق ما نفاه الأشاعرة، يشتمل على معان باطلة ومعانٍ صحيحة، فلفظ (الحدوث) نفسه نفى الأشاعرة به صفاتِ الله الفعلية بناءً على أن الحوادث لا تقوم به، وكلمة (الحوادث) لديهم، تعني: تجدد فعل الله بأن يُقدِّر أو يريد شيئاً في المستقبل، وهذا مع بدعية هذه الألفاظ ثابت لله كما قلنا بالشرع والمشاهدة، وكذلك لفظ (الجرم) نفوا به عن الله صفة (اليدين والوجه والعينين) وغيرها من الصفات الذاتية التي أثبتها لنفسه كونها لديهم مقتضية لذلك، بل يلزمهم من نفي (الجرم) بمنظورهم أن يُنفى عن الله (الذات)، لأن الذات في المَخلوق يشار إليها ولها تحيز وجهَة، والله منزه عن مشابهة المخلوق..

ولا يَرِدُ على هذا أن الاعتراض على ما أحدثوه من ألفاظ

يقتضي إقرار هذه الألفاظ، وإنما المقصد: أن هذه الألفاظ التي يَلتبس الحق فيها بالباطل يُستفصل عن المراد منها، فإن وافقت باطلاً رُدَّت وإن تضمنت حقاً وباطلاً أثبت الحق وأبطل الباطل مع اعترافنا بأنها ألفاظ مبتدعة ومصطلحات محدثة ما أنزل الله بها من سلطان، بيد أن الأشاعرة لما ألزموا بها أهل السنة كان من المحتم والواجب على أهل السنة حماية عقيدة المسلمين من الوقوع في نفي ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات..

بل -وهذا هو الأدهى -إن الاعتماد على نفي صفات الله الثابتة بناء على نفيهم التشبيه باطل، لما في نفي التشبيه من الإجمال الذي يَلتبس فيه الحق بالباطل بالنسبة للأشاعرة، لأنهم اعتبروا ما نفوه من صفات الخالق التي يوصف بها المخلوق: أنه من باب التشبيه فنفوه عن الله، وأداهم نفيهم هذا إلى نفي صفات كثيرة كاليد والوجه والقَدم ونحوها من الصفات، ومن المعلوم والمتيقن أن إثبات صفات الخالق مما يوصف به المخلوق لا يلزم منه التشبيه؛ لأن إثبات صفة كل موصوف إنما هو مرتبط بما يليق به، فإذا وصفنا الخالق بأن له يدين فيده تليق بكماله وجلاله وأنها غير مخلوقة. وإذا وصفنا المخلوق باليد فإنها تليق بعجزه ومخلوقيته، فلا وجه للمشابهة هنا بحال، وهذا هو منهج الكتاب والسنة" كذا أفاده د. حسان إبراهيم في كتابه (عقيدة الأشاعرة.. دراسة نقدية لمنظومة جوهرة التوحيد) ص٢٧٨: ٢٨١، وينظر ص٨٢، ١٣٥، ١٣٩ وما بعدها.

وبمثل ما قيل بحق كلام الأشاعرة عن (مخالفة الحوادث) يقال نظيره في (قيامه تعالى بنفسه)، إذ لا دلالة لها عندهم سوى نفي صفة (المَحل) الذي هو: الجهة والحيز، فيلزم ما سبق من نفي علوه تعالى وأنه فوق عباده بائن منهم إلى غير ذلك من صفات ذاته وأفعاله، وهو ما وقع منهم بالفعل، بل إن لازم نفيهم لصفة (المحل): استحالة أن تقوم به صفات المعاني التي يثبتونها، لأن الصفة لا تقوم بصفة أخرى.. أو الذي هو: ذاته - كما في شرح الصاوي ص١٥٦ وعون المريد شرح جوهرة التوحيد ٣٠٩/١ - فيلزم منه أنه استغنى بنفسه عن ذات يقوم بها وذلك غاية التعطيل لوجود الباري، ناهيك عن تعطيل صفاته الذاتية التي في نفيها هي الأخرى نفي لوجود ذاته.. وبهذا يتبين أن وصف الأشاعرة الله بـ (مخالفة الحوادث) و(القيام بالنفس) لا مدلول له سوى تعطيل الباري عما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله، ولا مفر من كل ذلك سوى أن نصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، لا نتخطى الآية والحديث ولا نتعدى حدود الكتاب والسنة، وهذا واجب كل مسلم.

جـ- كلام الأشاعرة عن (الوحدانية) وما يكتنفه من تناقضات:

أما عن صفة الوحدانية فهي وإن وافقت ما جاء في نحو قوله تعالى: (والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.. البقرة/١٦٣)، (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار.. غافر/١٦)، إلا أن الأشاعرة فسروها وقيّدوها بنفي التركيب والكثرة والنظير والمماثلة، يقول البيجوري في شرح الجوهرة: "الوحدانية الشاملة لوحدانية الذات والصفات والأفعال، تنفي كموماً خمسة: (الكم المتصل في الذات)، وهو: تركبها من أجزاء، و(الكم المنفصل فيها)، وهو: تعددها بحيث يكون هناك إله ثان فأكثر، وهذان الكمان منفيان بوحدة الذات، و(الكم المتصل في الصفات)، وهو: التعدد في صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين فأكثر، و(الكم المنفصل فيها)، وهو: أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته، وهذان الكمان منفيان بوحدانية الصفات، و(الكم المنفصل في الأفعال)، وهو: أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، وإنما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار"ا.هـ بتصرف.

وهذا كلام له خطورته، يحسبه الظمآن ماء فإذا ما جاءه وجده سماً زعافاً، إذ يقصدون بـ (نفي الكم المتصل في الذات) تجزؤَها وتبعضَها، فيقولون: إن صفة اليد والوجه للمخلوق تدل على تبعضه وتجزئه والله منزه عن مشابهة المخلوق، فنفوا بذلك أن يكون له (يد) أو (قدَم) أو(وجه)، فعطلوا صفات ذاته لشبهة تنزيهه عن أن يكون مركباً من أجزاء، وأبطلوا من ثم كل الآيات والأحاديث الدالة على صفاته الخبرية..

وهذا بالطبع يستوجب على أهل السنة أن يقدموا الإيمان بالنصوص على إيراد هذه الشبه التي تعطلها، فيؤمنوا بما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ولا يلتفتوا إلى هذه الترهات التي هي من أوهام العقول وفلسفات الجهمية والمعتزلة، وحسبنا في الحكم عليها بأنها مجرد افتراضات وإلزامات: أن نفي الأشاعرة صفات ذاته تعالى بحجة التركيب، مستلزم نفي (ذاته) أيضاً، لأن (الذات) و(النفس) من لوازم المخلوقين وهي بالنسبة لهم مركبة، فوجب على قانونهم مخالفة الخالق للمخلوق بنفيها عن الخالق هي الأخرى.

والحق يقال، فإن حديث الأشاعرة عن (نفي الكمّ المنفصل عن الذات) ويعنون به: نفي تعددها، هو المتفق والفطرة بحيث لا يخطر ببال ذي لب إثبات عكسه، نظراً لعدم تصور العقل له، وذلك كاف في فساد أن يكون لذات الله كمّا منفصلاً، وربما قصدوا من وراء ذكره الرد على عقيدة التثليث كما صرح بذلك اللقاني في شرحه على الجوهرة.. لكن إذا تتبعنا كلام الأشاعرة عن (نفي الكم المنفصل في الصفات) وهو نفي أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته، للاحظنا أن مرادهم به في حقيقة الأمر: (إثبات أن تكون

صفاته تعالى أزلية لا تتجدد ولا يفعلها الله متى شاء ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله).

وقد سقنا قبل في تفصيل ذلك كلام ابن أبي العز، وذكرنا أن حجتهم في ذلك نفي حدوث الحوادث فيه سبحانه، وأن التجدد لا يكون في المحدثات، وهذا لازمه: (نفي صفات الله الاختيارية والمتعلقة بمشيئته) وهذا غاية التعطيل لأفعاله، وقبل ذلك وبعده نقض لقوله: (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ .. البروج/١٦).

والشيء بالشيء يذكر، فإن قول الأشاعرة عن (نفي الكم المتصل للصفات) أنه يعني: نفي أن يكون لله قدرتان أو إرادتان فأكثر، هو كلام حق أريد به باطل، إذ ليس مرادهم منه أنه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، وإنما مرادهم به: نفي أن يكون في المستقبل قادراً أو خالقاً أو مريداً، وحسبنا في رد ذلك قوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ .. القصص/٦٨)، وقوله: (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .. البقرة/٢١٢)، والخلق والرزق واقعان في المستقبل على نحو ما هما واقعان في الماضي وفي الأزل..

يضاف لذلك أن كلامهم عن (نفي الكم المتصل في الصفات) يبدو فيه تناقضهم الظاهر، والمتمثل في تفريقهم بينه وبين ما لم ينفوه من (الكم المتصل في الأفعال)، على الرغم من تماثلهما، فهم يعنون بالأول: نفي تعدد الصفة نفسها كقدرتين وإرادتين، وهذا صحيح منهم، لكن حملهم الثاني على أنه "ثابت - على حد قول البيجوري - لا يصح نفيه لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء وإماتة إلى غير ذلك"، تناقض بيِّنٌ منهم، ذلك أن أفعال الله كلها متجددة، فإن استدلوا بنفي تجدد الصفة نفسها بحجة حلول الحوادث وأنها من لوازم المخلوقات، فعليهم أن يثبتوا لله فعلاً واحداً لا أفعال متعددة متجددة متغايرة، لكن لا يستطيعون ذلك، لعلمهم بأن التجدد في الفعل الواحد كالتجدد في أفعال متعددة، فإن كان التجدد في الفعل الواحد حلولاً للحوادث فالتجدد في الأفعال المتعددة حلولٌ للحوادث، ولئن كان الثاني "ثابت لا يصح نفيه" فقد وجب أن يكون الأول كذلك..

فهذا، مع تفريقهم بين صفات الذات وصفات الفعل أظهر بطلان وعوَرَ كلامهم.. كما أن كلامهم عن (نفي الكم المنفصل في الأفعال)، وأنه: نفي أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، لازمه: نفي تأثير قدرة العبد للفعل، وحقيقته قولٌ بالجبر وإن غلفوا ذلك بقولهم إن الفعل ينسب له على سبيل الكسب والاختيار.. والذي يدفع هذا التناقض وهذا التعطيل والجبر المغلف، هو: الإيمان بالنصوص الواردة في الكتاب والسنة وعدم تحريفها، وبذا يَسْلم المؤمن من التعارض والتناقض والحيرة في هذا الباب وغيره.

د-واجب الوقت أن يتحرر الأزهر في باب الصفات وغيره، إلا مما كان عليه الصحابة والتابعون حتى يضطلع بدوره على أتم وجه:

والحق أن الأشاعرة في باب الصفات وتأويلاتها قد بدا تأثرهم الشديد بالمعتزلة الذين نقل عنه الإمام الأشعري في (مقالات الإسلاميين) ص١٥٥ - وبنحوه في (الإبانة) ص٣٦ وما بعدها - قولهم المفصل في نعوت السلب: "إن الله واحد.. ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا محسة ولا بذي حرارة ولا برودة.. ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم.. لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار.. عالم قادر حيٌّ لا كالعلماء القادرين الأحياء.. إلخ"، تلك عبارات المعتزلة نقلها بفصها ونصها إخوانهم الأشاعرة، فعطلوا بنفيهم المفصل هذا - باستثناء صفات المعاني -: جميع صفاته تعالى الخبرية والذاتية والفعلية والاختيارية.

وعلى ما سبق عقَّب الأشعري بقوله: "فهذه جملة قولهم في التوحيد وقد شاركهم في هذه الجملة: الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة وإن كانوا للملة التي يظهرونها ناقضين ولها تاركين"، والسؤال الملح الآن: هل يليق أو يسوغ لأشاعرة الزمان أن يسلكوا سبيل هؤلاء بعد أن أدركنا خطأهم، وبعد أن وقفنا على ما به تقام الحجة في دحض طريقتهم في التفصيل في نعوت السلب ومن قبل في مسألة التعلقات؟؛ وألا يصعب ويشق عليهم أن يتركوا طريق الرسول وصحابته وتابعيهم بل وما ختم الأشعري به حياته مما دبجه في (الإبانة) و(مقالات الإسلاميين) و(رسالة أهل الثغر)، وهم بعدُ مَن يدّعون شرف الانتساب إلى كل هؤلاء؟.

إن كل ما سبق يجعلنا نؤكد على أنه لا عاصم للمسلمين إلا بالتخلي أولاً عن الألفاظ المحدثة التي أفسدت على المسلمين عقيدتهم، وعن المبتدعين القائلين بها من الفلاسفة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال، ثم باتباع الطريقة السائدة في القرآن والسنة من النفي المجمل والإثبات المفصل، وذلك بوصفه تعالى بكل ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، فبذا تسلم عقيدة التوحيد ويسهل حينذاك جمع كلمة الأمة عليها.. والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

المسلم بين إرادة التغيير وإدارته

الإبداع طريقك نحو قيادة المستقبل

الحلقة السادسة

إعداد/ د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم.

تلخيصًا لما سبق وتذكيرًا بما تناولناه من قبل، فقد ذكرنا في المقال الأول: أننا بحاجة للتغيير والتطوير والتنمية، وفي المقال الثاني: وضحنا ضرورة العمل على تقوية الثقة بالله، وحسن التوكل عليه. وفي المقال الثالث: كتبت لك بعض الشعارات التي قد تساعدك على اكتساب الثقة بالنفس؛ وكيفية استنهاضها وتقويتها. وفي المقال الرابع: كتبت لك عن التفكير، وأهميته، وبواعثه، وكيف أن التفكير يُعد فريضة واجبة. وذكرت لك بعض المهارات التي تعينك على التفكير. وفي المقال الخامس تحدثنا عن الابداع والتطوير كتدرج طبيعي للتفكير ومهاراته، وفريضة لازمة لشخصية إسلامية متطورة متواكبة نافعة مرشدة موجهة.

ونكمل حديثنا عن الابداع والتطوير فنقول وبالله تعالى التوفيق:

محفزات الإبداع:

إن عوامل استثارة الإبداع متعددة ومتنوعة، كما يقول الأستاذ المبدع زهير المزيدي في كتاب: «مقدمة في منهج الإبداع»: فنجد أن هذه العوامل كائنة- أولاً- في الاستعانة بالله تعالى، ومدى قوة وصفاء الاتصال به سبحانه، ثم يلي ذلك عوامل عديدة هي: الملاحظة الدقيقة، وكثرة الاطلاع، ودرجة التقدير لعامل الوقت، ودرجة التمرس في طرق النقاش المنهجي، ودرجة خصوبة الخيال، ودرجة تنوع النماذج.

كما أن المكافآت، سواء المعنوية أو المادية منها، لها أثر كبير في استثارة الإبداع لدى الناس، وخير مثال على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يكافئ صحابته، فكان يقول لعلي رضي الله عنه: «امض ولا تلتفت». كما ثبت أنه عناه بقوله صلى الله عليه وسلم: «سأعطي الراية غداً لرجل يحبه الله ورسوله» (صحيح البخاري).

ويتبدى اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم منهج التحفيز والتعزيز والإثابة في مواقف أخرى منها: عندما لقَّب خالد بن الوليد بسيف الله المسلول، وأبا بكر بالصديق، وعثمان بذي النورين، وفي تبشيره بعض الصحابة بالجنة، وفي قوله لشاعر الإسلام: «اللهم أيِّده بروح القدس» (صحيح البخاري، حديث رقم (٢٩٩٢)).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة حاثاً له على المبادرة في طلب الجديد من أبواب الخير الكثيرة، وعدم الانشغال بباب واحد فقط منها: «سبقك بها

عُكَّاشة». (صحيح مسلم حديث رقم (٣٢٨)).

كما نراه صلى الله عليه وسلم قد حفّز جرير بن عبدالله البجلي بالدعاء له بالهداية والثبات، حيث قال له: «اللهم ثبّته واجعله هادياً مهدياً» (صحيح البخاري، حديث رقم (٢٨١٤))، وقد قال صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام: «لكل نبي حواريّ، وحواريّ الزبير» (صحيح البخاري رقم (٣٨٣١)).. وهكذا.

محفزات البيئة الداخلية:

١- منح الحرية مع ضبط السيطرة على العمل وتوجيه الأفكار.
٢- الإدارة الناجحة للمشروعات في البيت والعمل.
٣- توفير المصادر اللازمة المالية والعلمية.

ومحفزات عوامل ذاتية في الشخصية:

وهي العوامل الموجودة فينا وفيمن حولنا، عند الزوجات، والأولاد، والزملاء.. إلخ.

١- القدرة على الملاحظة الدقيقة.
٢- خصوبة الخيال.
٣- وضوح الأهداف.

عوامل تسرع بالإبداع:

١- خذ راحتك ولا تستعجل.
٢- فكر قبل النوم.
٣- غير مكانك.. تحرك.
٤- ركز كثيراً.
٥- فرّغ ذهنك.
٦- أشعر من حولك بهمك وبغيتك.
٧- لا تترك الورقة والقلم أبدًا.

صفات المبدعين:

هذه بعض صفات المبدعين، التي يمكن أن تتعود عليها وتغرسها في نفسك، كما يمكنك أن تعوّد الآخرين عليها أيضاً.

إن هؤلاء المبدعين:

- يبحثون عن الطرق والحلول البديلة، ولا يكتفون بحل أو طريقة واحدة.
- لديهم تصميم وإرادة قوية.
- لديهم أهداف واضحة يريدون الوصول إليها.
- يتجاهلون تعليقات الآخرين السلبية.
- لا يخشون الفشل.
- لا يحبون الروتين.
- يبادرون.
- إيجابيون ومتفائلون.

وننبه هنا أنه إذا لم تتوافر فيك هذه الصفات لا تظن أنك غير مبدع، بل يمكنك أن تكتسب هذه الصفات، وتصبح عادة متأصلة لديك.

وهذا عرض آخر لمعوقات الإبداع:

«إن معوقات الإبداع كثيرة، منها ما يكون مصدره الإنسان نفسه، ومنها ما يكون من قبل الآخرين، عليك أن تعي هذه المعوقات وتتجنبها بقدر الإمكان؛ لأنها تقتل الإبداع وتفتك به.

- الشعور بالدونية: ويتمثل ذلك في أقوال بعض الناس: أنا ضعيف، أنا غير مبدع.. إلخ. وتسمى بالرسائل السلبية التي يرسلها العبد لنفسه.
- عدم الثقة بالنفس.
- عدم التعلم أساساً.
- الإعراض عن الاستمرار في زيادة المحصول العلمي.
- الخوف من تعليقات الآخرين السلبية.
- الخوف على الرزق.
- الخوف والخجل من الرؤساء.
- الخوف من الفشل.
- الرضا بالواقع.
- الجمود على الخطط والقوانين والإجراءات.
- التشاؤم.
- الاعتماد على الآخرين والتبعية لهم». اهـ.

لتصبح أكثر إبداعاً:

- مارس رياضة المشي في الصباح الباكر، وتأمل الطبيعة من حولك.
- خصّص خمس دقائق للتخيل صباحاً ومساءً كل يوم.
- ناقش شخصاً آخر حول فكرة تستحسنها قبل أن تجربها.
- تخيل نفسك رئيساً لمجلس إدارة لمدة يوم واحد.
- استخدم الرسومات والأشكال التوضيحية بدل الكتابة في عرض المعلومات.
- قبل أن تقرر أي شيء، قم بإعداد الخيارات المتاحة.
- جرِّب واختبر الأشياء وشجِّع غيرك على التجربة.
- تبادل عملك مع زميل آخر ليوم واحد فقط.
- ارسم صورًا وأشكالاً فكاهية أثناء التفكير.
- فكِّر بحل مكلف لمشكلة ما، ثم خفضه بمشورة الاجتماع، ثم حاول تحديد إيجابيات ذلك الحل.
- قدم أفكارًا واطرح حلولاً بعيدة المنال.

- تعلم رياضة جديدة وإن لم تمارسها.

- اشترك في مجلة في غير تخصصك، ولم يسبق لك قراءتها.

- غير طريقك إلى العمل ومنه.

- قم بعمل السكرتير بنفسك، في يوم تعطيه فيه إجازة.

- قم بترتيب غرفتك، وغسل ملابسك، وكيّها بنفسك.

- غيّر من ترتيب الأثاث في مكتبك أو غرفتك.

- احلم وتصور النجاح دائماً.

- قم بخطوات صغيرة في كل عمل، ولا تكتف بالكلام والأماني.

- أكثر من السؤال.

- قل لا أعرف حينما لا تعرف، ولا تهرف بما لا تعرف.

- إذا كنت لا تعمل شيئا، ففكر في عمل شيء إبداعي تملأ به وقت فراغك.

- العب لعبة ماذا لو؟ «دخلت امتحان اللغة العربية واتضح أنه امتحان دراسات، أو تخيل أنكم ثلاثة في غرفة وخرج منها فأران...»؟!

- انتبه إلى الأفكار الصغيرة.

- غيّر ما تعودت عليه.

- احرص على أن يكون في كل عمل تعمله شيء من الإبداع.

- تعلم والعب ألعاب الذكاء والتفكير.

- اقرأ قصصاً ومواقف عن الإبداع والمبدعين.

- خصص دفتراً لكتابة الأفكار، ودون فيه الأفكار الإبداعية مهما تكن هذه الأفكار صغيرة.

افترض أن كل شيء ممكن.

وهذه بعض طرق توليد الأفكار:

وصلنا إلى التطبيق العملي، كيف نولد ونبتكر أفكاراً وحلولاً جديدة، إليك هذه الطرق:

- حدد هدفاً واضحاً لإبداعك وتفكيرك.

- التفكير بالمقلوب:

بمعنى أن تقلب ما تراه في حياتك حتى تأتي بفكرة جديدة، مثال: يذهب الطلاب إلى المدرسة، عندما تعكسه تقول: المدرسة تأتي إلى الطلاب، وهذا ما حدث من خلال الدراسة بالإنترنت والمراسلة، والتعليم عن بعد..إلخ.

- الدمج:

أي ادمج عنصرين أو أكثر للحصول على إبداع جديد، مثال: سيارة + قارب = مركبة برمائية، وتم تطبيق هذه الفكرة!

- الحذف:

احذف جزءًا أو خطوة واحدة من جهاز أو نظام إداري، فقد يكون هذا الجزء لا فائدة له، وقد تكتشف -بنفسك- الأهمية الكبيرة لهذا الجزء.

- الإبداع بالأحلام:

تخيل أنك أصبحت مديراً لوزارة التربية والتعليم مثلاً.. ما الذي ستفعله؟

أو تخيل أننا نعيش تحت الماء.. فكيف ستكون حياتنا؟

- المثيرات العشوائية:

قم بزيارة محل للعب الأطفال، أو سافر لبلاد لم تزرها من قبل، أو امش في مكان لم تره من قبل، ولا تنسَ أن تحمل معك دفتر ملاحظات وقلما؛ لكي تسجل أي فكرة أو خاطرة تخطر على ذهنك، وتأسَّ بالإمام الكبير ابن الجوزي كما فعل في كتابه: «صيد الخاطر».

الإبداع بالتنقل:

أي تحويل ونقل فكرة تبدو غير صحيحة أو غير معقولة إلى فكرة جديدة معقولة.

- زاوية نظر أخرى:

انظر إلى المشكلة أو الإبداع أو المسألة من زوايا متعددة، ولا تحصر رؤيتك من خلال منظور واحد فقط.

- ماذا لو؟

قل لنفسك: ماذا لو حدث كذا وكذا.. ربما تكون النتيجة كذا وكذا.

- كيف يمكن؟

استخدم هذا السؤال لإيجاد العديد من البدائل والإجابات.

- استخدامات أخرى:

مثال هل تستطيع أن توجد ١٥ استخداماً آخر للقلم غير الكتابة والرسم؟ جرب هذه الطريقة وبالتأكيد ستحصل على أفكار مفيدة.

- طوِّر باستمرار:

لا تتوقف عن التطوير والتعديل في أي شيء.

هذا، وصَلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باب التربية

التربية على برِّ الوالدين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: تَحَدَّثْنا عن الصِّدق ومكانته وأداء الأمانة، وحديثنا في هذا المقال عن صلة الرحم، فنقول وَبِاللهِ تعالَى التَّوْفيقُ:

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

«الصِّلَةُ: مصْدَرُ وصَلَ يَصِلُ صلَةَ وَوَصْلاً، وهي تدلُّ على ضَمِّ الشَّيْءِ إلي الشَّيْءِ حتَّى يعْلَقَه.

والرَّحِمُ: اسْمٌ مُشْتَقٌ من مادة (ر ح م) الَّتي تدلُّ علي الرِّقَّة والعَطْف والرَّأْفَة، والمُرادُ بصلة الرَّحم علاقَة القَرابَة، وقد سُمِّيَتْ رَحِمُ الأُنْثَى رَحِماً من هذا، لأنَّه يكونُ منها ما يُرْحَمُ ويُرقّ له من ولَد. والمُرادُ بصلة الرَّحم العَطْفُ والرَّحمة بيْنَ ذوي الأرْحَام». (نضرة النعيم (٧/٢٦١٤)).

«وَهُمْ أقَارِبُ الإنْسان كأُمِّه وأبيه، وابْنه وابْنَته، وكُلّ مَنْ كَانَ بيْنَهُ وبَيْنَهُ صلَةٌ منْ قبَل أبيه أوْ منْ قبَل أمِّه، أوْ منْ قبَلِ ابْنه أوْ مَنْ قِبَلِ ابْنَتِه». (الضَياء اللامع (٥٠٥) ابن عثيمين).

أما صلة الأم والأب فهي تعرف باسم: برِّ الوالدين، وقد كثر في القرآن الكريم الأمر ببرهما والإحسان إليهما، وكان ذلك من أول ما نزل من القرآن الكريم في مكة المكرمة، حين أسلم بعض الأبناء دون آبائهم، وحاول الآباء صدَّ أبنائهم عن الإسلام:

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْد عَنْ أبيه قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْد أَنْ لا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بدينه، وَلا تَأْكُلَ وَلا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ الله وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْد، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْد، فَأَنْزَلَ الله عزَّ وجلَّ في الْقُرْآن هَذه الآيَة: « وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (لقمان: ١٤- ١٥). (صحيح مسلم: ١٧٤٨)

ولما هاجر الصحابة إلى المدينة المنورة وتركوا آباءهم وأمهاتهم، جاءت بعض الأمهات تزور أبناءها، فتحرجوا من برهن حتى يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بصلتهم:

عن أَسْمَاءَ ابْنَة أبي بَكر رضي الله عنهما قَالَتْ: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً في عَهْدَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلْتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم: آصلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى فيهَا: « لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ » (الممتحنة: ٨). (متفق عليه).

ولقد أكثر ربنا سبحانه من الوصية بالوالدين، والأمر ببرهما والإحسان إليهما، وقرن ذلك بالأمر بعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: « وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا » (النساء: ٣٦)، وقال تعالى: « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا» (الإسراء: ٢٣- ٢٤)، وهذا الاقتران يدل على أن حق الوالدين أعظم الحقوق بعد حق الله ورسوله.

فبرُّوا آباءكم يحبَّكم ربُّكم، فإنَّ من أحبِّ الأعمال إلى الله برَّ الوالدين. عَنْ عَبْد الله بن مَسْعُود رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» (متفق عليه)

برّوا آباءكم يرضَ عنكم ربُّكم: عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» (صحيح الترمذي: ١٨٩٩).

برّوا آباءكم يستجب لكم ربُّكم: عَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». (صحيح مسلم: ٢٥٤٢)

برّوا آباءكم يغفرْ لكم ربُّكم ذُنوبَكم: عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ الله! إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ: لا قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ فَبِرَّهَا» (صحيح الترمذي: ١٩٠٤).

برّوا آباءكم يُفرِّجْ ربُّكم كربَكم:

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالاً عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لله فَادْعُوا الله تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ الله يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ! فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلاَبِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ الله مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ.

ومن برِّ الوالدَيْن: «أن يصاحبَهما بالمعروف، وأن يُطعمَهما إذا جاعا، ويكسوَهما إذا عريا، وأن يخدمَهما إذا احتاجا إلى الخدمة، وأن يُجيبَ دعوتَهما، ويمتثلَ أمرَهما في المعروف، وأن يتكلم معهما باللين، وأن لا يدعوَهما باسمهما، وأن لا يمشي أمامهما، وأن يتواضع لهما، ولا يرفع عليهما صوته، ولا يُحدَّ فيهما بصرَه، وأن يهش لهما ويبش، ولا يعبس في وجههما، وأن لا يقول لهما قولاً سيئاً، وأن يليَ منهما ما وليا منه في الصغر، ويبقى لهما فضل التقدُّم». (نضرة النعيم٣/٧٦٩، ٧٧٩). ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ» (صحيح مسلم: ١٥١٠)

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ «أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ وَرَجُلٌ يَمَانِيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ قَدْ حَمَلَ أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّل ××× إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَر

ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ عُمَرَ! أَتَرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: لا، وَلا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ» (صحيح الأدبَ المفرد للبخاري: ٩).

فاغتنموا- رحمكم الله- حياتَهما، فإنَّ مَن لم يظفرْ برضا الله في حياتهما لم يظفر به بعد موتهما:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ. قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». (صحيح مسلم: ٢٥٥١).

فإن مات الوالدان فمنْ برِّهما بعد الموت اجتهادُ الولد في الطاعة والعبادة، لأنَّ كلَّ عمل صالح يعمله فلأبويْه من الأجر مثلُ أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، وذلك لقوله تعالى: « وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ» (النجم: ٣٩) وولدُه من سعيه كما قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ وَإِنَّ أَوْلادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ» (صحيح الترمذي: ١٣٥٨).

ومن برِّهما بعد الموت الدعاءُ لهما والاستغفار، كما قال تعالى: «وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا» (الإسراء: ٢٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (صحيح مسلم: ١٦٣١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَنَّى هَذَا فَيُقَالُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ» (صحيح ابن ماجه: ٢٩٥٣).

ومن برِّهما بعد موتهما إكرامُ صديقهما وصلةُ إخوانهما:

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَبَرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ» (صحيح مسلم: ٢٥٥٢).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

المسلمون

بلجيكا.. بيئة خصبة لانتشار الإسلام

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وفضلنا على الأنام، وأرسل إلينا خير رسله، وأنزل علينا أفضل كتبه، وبعدُ؛ فإن الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين لا تزال تأخذ مداها في كل أرجاء المعمورة، سواء كان ذلك داخل البلاد الإسلامية أو خارجها، لتتحول إلى وحش كاسر يطارد المسلمين في كل مكان، خاصة في الدول الغربية التي يمثلون فيها أقلية أينما ذهبوا، ونحن نطوف من خلال تلك الإطلالة على أحوال تلك الأقليات المسلمة، من حيث معيشتهم وأحوالهم، وما يعانونه في تلك البلدان، رغمًا عن كونهم جزءًا لا يتجزأ من تلك الشعوب، إلا أنهم لا يزالون يُعاملون على أنهم غرباء عن الأوطان التي يعيشون فيها، وفي القارة العجوز أوروبا، نتعرف اليوم في عجالة على أحوال المسلمين في دولة بلجيكا، لنقف على ما يواجهه المسلمون في تلك البلدان، وبرغم تلك الهجمة على الإسلام، فإن نسائم الدين الحنيف تنتشر في كل الآفاق، ويقبل عليه القاصي والداني، مبشرًا رغم كل المؤامرات بأن الإسلام سوف يدخل إلى كل بقعة من أرجاء المعمورة، فلا تخافوا على الإسلام، بل خافوا على أنفسكم، والله المستعان وعليه التكلان.

إعداد/ جمال سعد حاتم

رئيس التحرير

التعريف ببلجيكا

بلجيكا هي إحدى دول غربي أوروبا، خضعت في فترة من الفترات لحكم إسبانيا، ثم خضعت للحكم الفرنسي في عهد نابليون بونابرت، وتكونت بها مملكة ضمت إليها ١٢٣١هـ- ١٨١٥م. وبعد مرور خمسة عشر عامًا انفصلت بلجيكا وتكونت فيها مملكة مستقلة، غزاها الألمان في الحرب العالمية الأولى، ثم نالت استقلالها، وضمَّها الألمان في الحرب العالمية الثانية، وهي إحدى دول السوق الأوروبية المشتركة.

وتبلغ مساحة بلجيكا ٣٠,٥١٩كم٢، ويبلغ سكانها حوالي عشرة ملايين ونصف المليون تقريبًا، وهي أكثر مناطق أوروبا ازدحامًا بالسكان، وهي دولة صغيرة المساحة، تغلب عليها المظاهر السهلية، وتحدها من الشمال هولندا، ومن الجنوب فرنسا، ومن الجنوب الشرقي لكسمبورج، ومن الشرق ألمانيا الغربية، ومن الغرب بحر الشمال.

وبلجيكا هي إحدى الدول الصناعية المهمة في أوروبا، ولديها كميات ضخمة من الفحم في منطقة وادي «السامبر-ماز»، وتمتد حقول الفحم إلى فرنسا، ويوجد بهذا النطاق أعظم إقليم صناعي في بلجيكا، يوجد به صناعة الحديد والزجاج والزنك والكيميائيات، ويقطن بهذا الإقليم ربع سكان بلجيكا، وبه عدد من الأيدي العاملة المهاجرة من العالم الإسلامي، وتنتشر الصناعات في سهل الفلاندر والسهل الأوسط، أما الزراعة فتنتشر في السهول البلجيكية لا سيما السهل الأوسط والذي يعتبر أغنى أراضي بلجيكا الزراعية، وتتكون حاصلاتها الزراعية من القمح والشعير والشوفان

والكتان والبنجر السكري والأعلاف، وكذلك تقوم بتربية الحيوانات في مناطق الزراعة.

وصول الإسلام للأراضي البلجيكية

بداية وصول الإسلام كانت عن طريق الهجرة؛ حيث هاجرت إليها الأيدي العاملة المسلمة بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت بعد الهجرة الأولى من الألبانيين، ثم تلا ذلك هجرة العمال الأتراك والمغاربة، وكان عدد المسلمين في بلجيكا في سنة ١٩٥١م ثمانية آلاف مسلم، وصل عددهم في سنة ١٩٦٩م إلى ٨٠,٠٠٠ فتضاعف عددهم عشر مرات، وفي عام ١٩٧٣م وصل عدد المسلمين في بلجيكا إلى مائة وأربعون ألف مسلم، يضاف إلى هذا العدد بضعة آلاف من المسلمين من أصل بلجيكي، وعدد آخر من الطلاب المسلمين.

بلجيكا الأكثر خصوبة لانتشار الإسلام

يزيد عدد المسلمين في العاصمة بلجيكا عن ٣٠٠ ألف مسلم، أي حوالي النصف من جملة سكان العاصمة، ووافقت الحكومة على إدخال دروس التربية الإسلامية ضمن البرامج الدراسية لأبناء المسلمين، كما أن الحكومة البلجيكية اعترفت بالإسلام كدين رسمي بها في عام ١٩٧٤م، وهو ما أعطى للمسلمين حق تعليم الدين الإسلامي بالمدارس البلجيكية، وحق إنشاء مدارس إسلامية بصورة رسمية للأقلية المسلمة.

وينتشر المسلمون في بلجيكا في المدن الرئيسية، وفي المناطق الصناعية، فيتواجدون في بروكسل وفي أنفرس، وفي جوس، وشارلورا، ومدينة شاريك وليبج.

المسلمون والمساجد في بلجيكا

يعتبر الإسلام الدين الثاني في بلجيكا حاليًا، يوجد في بلجيكا حوالي ٣٠٠ مسجد موزعين في أنحاء البلاد. وكذلك يوجد المركز الإسلامي الكبير في بروكسل، وتنتشر المراكز الإسلامية في العديد من المدن، وهناك مشروع لإنشاء مدارس رسمية إسلامية لاسيما بعد اعتراف بلجيكا بالإسلام كدين رسمي بها.

ويتجاوز تعداد المسلمين في بلجيكا ٧٠٠ ألف مسلم، حيث يعتبر الإسلام الديانة الثانية بعد المسيحية هناك، وتعتبر بلجيكا من الدول الأقل من ناحية الإسلاموفوبيا بين دول أوربا، وينص الدستور البلجيكي على السماح بحرية الأديان، وحرية التعبير للأفراد.

والمتابع لأحوال المسلمين في بلجيكا يجد أن حياتهم بين مد وجذر وخاصة مع كل حادثة تقع هناك يكون للإسلام فيها نصيب، وربما يرجع ذلك بشكل أساسي للاهتمام الإعلامي غير المسبوق بالإسلام والمسلمين بشكل ومنظور تآمري، ففي تقرير الباحثة كارولين ساجيسير تقول فيه: «إن الاهتمام المفرط لوسائل الإعلام البلجيكية بالإسلام يتسبب في سوء الفهم حول مسائل تتعلق بالإسلام والمسلمين، ونظرًا للتناول الإعلامي الزائد للمسلمين هناك فإن مع يقع من أحداث مؤسفة يحمل فاعلوها شعارات إسلامية، أو صيغة إسلامية تجعل مسلمي بلجيكا محل توجس واتهام».

تحديات تواجه مسلمي بلجيكا

مع أن السلطات البلجيكية قد أقرت تدريس الدين الإسلامي في المدارس البلجيكية منذ عام ١٩٧٥م، أسوة بتدريس العقائد الأخرى، ويقوم أكثر من ٧٠٠ مدرس ومدرسة من المسلمين بتدريس الدين الإسلامي، والتعريف بتعاليمه في المدارس الابتدائية والثانوية، ومع ذلك فإن المسلمين المقيمين في بلجيكا سواء من المهاجرين إليها أو من المسلمين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي من البلجيكيين تواجههم تحديات عدة، يأتي في مقدمتها ضياع الجيل الثاني الذين ولدوا في بلجيكا نتيجة الزواج المختلط، فلقد أكدت الإحصاءات وقوع زواج مختلط بلغت حالاته ١٤٧٥ مسلمًا في أربع سنوات من عام ١٩٧١- ١٩٧٥م، وكذلك ارتفاع نسبة الطلاق بعد حالات الزواج المختلط، وكثرة مشاكل الأولاد وضياعهم، وكذلك الجهل بالإسلام وتعاليمه، وكثرة الخلافات بين الجماعات العرقية، والحاجة الملحة إلى وضع منهج تعليمي إسلامي، وكذا الحاجة الملحة إلى عمل جاد وحازم في سبيل تفعيل الدعوة الإسلامية، وحاجتهم الملحة للدعم العربي والإسلامي في كافة المناحي، وكذا ضرورة الاندماج في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها.

اللهم احفظنا بالإسلام، واجعله نورًا به نهتدي، اللهم وفقنا إلى ما تحب وترضى، والحمد لله رب العالمين.

علم القراءات

وسائل علم القراءات ومقاصده

الحلقة الثانية

إعداد/ د. أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإن علم القراءات له وسائل ومقاصد. والوسائل سبعة أجزاء: الأسانيد، وعلم العربية، ومنه مخارج الحروف وصفاتها، والوقف والابتداء، والفواصل وهو فنّ عدّ الآيات، ومرسوم الخط، والاستعاذة، والتكبير.

والمقاصد: تشمل الأصول والفرش؛ لأن البحث في المقاصد إما أن يكون بالنظر إلى ما يغيّر معنى الكلمة غالبًا، وهو الفرش، أو بالنظر إلى ما يغيّر هيئتها وهو الأصول.

علم الإسناد:

وهو الطريق الموصلة إلى القرآن، وهو أعظم مدارات هذا الفن؛ لأن القراءات سنة متبعة ونقل محض، فلا بد من إثباتها وصحتها، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد، وهو خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة.

علم العربية:

لما كان القرآن العزيز إنما وقع بلسان العرب، توقف الأمر في أدائه على معرفة ما يجوز عندهم النطق به وما لا يجوز، وهو قسمان؛ الأول: معرفة الإعراب المميز للخطأ والصواب. والثاني: ومعرفة كيفية النطق بكل حرف ذاتًا وصفة، وهو معرفة مخارج الحروف.

الوقف والابتداء:

والوقف هو قطع صوت القارئ على الكلمة زمانا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسمًا. والابتداء هو استئناف القراءة بعد الوقف. قال الهذلي في (الكامل): "الوقف حلية التلاوة، وزينة القراءة، وبلاغ التالي، وفهم للمستمع، وفخر للعالم، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين". ولا بد للوقوف والابتداءات أن تتفق مع وجوه التفسير الصحيح واستقامة المعنى وصحة اللغة.

فن عدد الآيات:

وهو علم يبحث فيه عن أحوال آيات القرآن الكريم من حيث عدد الآيات في كل سورة، وبيان رأس الآية وخاتمتها معزوًا لناقله. واحتيج لهذا العلم لأن بعض القراء يزيد ياءَ في رؤوس الآي وبعضهم يميل رؤوس الآي في بعض السور (الإمالة هي أن ينطق الألف قريبة من الياء من غير قلب خالص كما يميل حفص كلمة مجراها في سورة هود). ويعرف العلماء الآية بأنها قرآن مركب من جملة فأكثر ولو تقديرًا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة. ويعرفون الفاصلة بأنها كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع.

ولمعرفة الفواصل طريقان: السماع والقياس. فأما السماع فالأصل فيه حديث أم سلمة في سنن أبى داود (٤٠٠١) وغيره أنها ذكرت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. ملك يوم الدين) يقطع قراءته آية آية. فهذا يبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته بالوقف على رؤوس الآية في الفاتحة. وما وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم دائمًا تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائمًا تحققنا أنه ليس

بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الأمرين، واحتيج فيه للقياس، وهو إلحاق المحتمل غير المنصص بالمنصص لمناسب بينهما.

وينبغي أن نعلم أن الاختلاف في عد الآي يراد به الاختلاف في تحديد مواضع الانتهاء من الآيات، ولا يعني زيادة آيات أو نقصها أو زيادة ألفاظ. فمثلاً سورة الإخلاص اختلف في عدها هل هي أربع آيات أم خمس، والسبب خلافهم في قوله تعالى (لم يلد ولم يولد) هل هي آية أم آيتان.

مرسوم الخط:

الخط العثماني أو الرسم القرآني هو الرسم المخصوص الذي كتبت به حروف القرآن وكلماته أثناء كتابة القرآن الكريم في جميع مراحله الكتابية وآخرها في عهد عثمان رضي الله عنه. وهو علم جليل يُعرف به الاختلاف بين خط المصاحف العثمانية مع أصول الرسم الإملائي وقواعده المقررة. وهو أحد أركان القراءة الصحيحة. سئل الإمام مالك رحمه الله: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى. وقال البيهقي في الشعب: " من كتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير شيئًا مما كتبوه، فإنهم كانوا أكثر علمًا، وأصدق قلبًا ولسانًا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم".

وأكثر رسم المصاحف موافق لقواعد العربية، إلا أنه قد خرجت أشياء عنها يجب علينا اتباع مرسومها، فمنها ما عرف حكمه، ومنا ما غاب عنا علمه. والجمهور على أن رسم المصحف توقيفي كله لا تجوز مخالفته.

ومن فوائد الرسم العثماني:

أ- الدلالة على أصل الحركة فتكتب الحركات حروفاً مثل (سأوريكم) أو الدلالة على أصل الحرف فتكتب (الصلوة) بالواو بدل الألف.

ب- الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة مثل (تبلوا، تتلوا) فخط المصحف يحتمل كلتا القراءتين.

ج- النص على بعض اللغات الفصيحة كحذف ياء المضارع لغير جازم في (يوم يأت لا تكلم نفس) على لغة هذيل.

د- الحرص على تلقى القرآن من صدور الثقات فلا يتكل على الرسم وحده، وفي ذلك ميزتان: التوثق من اللفظ والأداء، واتصال السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وينحصر أمر الرسم في قواعد منها:

- الحذف: كحذف الألف في (العلمين).
- الزيادة: مثل زيادة ألف في (مائة).
- البدل: مثل إبدال الألف ياء في (هديهم).
- القطع والوصل: مثل قطع (أن) عن (لا) في مواضع منها (أن لا ملجأ) في التوبة ورسمها بالوصل (ألا) في مواطن أخرى.
- ما فيه قراءتان ورسم على أحدهما مثل (ويبصط) بالبقرة.

مقاصد علم القراءات:

وأما مقاصد علم القراءات فهو البحث فيها بالنظر إلى اتفاق القراء واختلافهم في الأصول والفرش.

والأصول هي القواعد الكلية التي ينسحب حكم الواحد منها على الجميع غالبًا. مثال ذلك: ميم الجمع إذا وقعت قبل همزة قطع فإن ورشًا يمدها مدًّا مشبعًا نحو (عليكم أنفسكم) وهكذا في سائر القرآن.

ومن أصول القراءات: الإدغام الكبير والصغير، وهاء الكناية والنقل، والإبدال، وياء الإضافة، والإمالة، والمد وغير ذلك.

والفرش: هو الأحكام الخاصة ببعض الكلمات القرآنية المتفق عليها أو المختلف فيها وسميت فرشًا؛ لأن المصنفين يوردون هذه الكلمات منثورة ومفروشة في السور حسب ترتيب المصحف.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

إعلان الله الحرب على المرابين

إعداد/ **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وشرع لنا أكمل الشرائع وأفضل الأحكام، وأبان لنا الحلال والحرام، وجعل في الحلال غنية عن الحرام، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فلقد جاء الإسلام دينًا كاملاً، ونظامًا شاملاً، عمَّ بإصلاحه البلاد والعباد، وأمر الإسلام أتباعه أن يسيروا في ذلك على وفق منهج الله، وعلى ضوء سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مراعاة للمبادئ الإيمانية، والضوابط الأخلاقية، والمعاملات الشرعية، كل ذلك في حدود الحلال الطيب الذي يرعى الحقوق، ويصون المصالح، ويدرأ الأضرار والمفاسد، ويحفظ الدماء والأعراض والأموال، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته العظيمة يوم عرفة: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا». (مسلم: ١٢١٨). ومع هذه الوصية النبوية فقد فشت وزادت في أيامنا كثير من المعاملات الربوية، والرِّبا من كبائر الذنوب، محرمٌ في جميع الشرائع السماوية، قال الله تعالى: « فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ » (النساء: ١٦٠- ١٦١).

ما ظهر الربا في أمة إلا أهلكها ولا في جماعة إلا دمرها.

وهو في شريعتنا الغراء حرام، ومن موجبات دخول النار، قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ » (آل عمران: ١٣٠- ١٣١)، بل هو من الموبقات، قال صلى الله عليه وسلم: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». وعد صلى الله عليه وسلم منهن: «وأكل الربا». (البخاري: ٢٧٦٦، ومسلم: ٨٩).

جزاء أكل الربا:

أكلةُ الربا متوعدون بالوعيد الشديد في الدنيا وفي القبر ويوم العرض أما في الدنيا، فقد قال الله تعالى: « يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ » (البقرة: ٢٧٦)، فثروة المرابي إلى محق وزوال، «وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا » (النساء: ٨٧)، «لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ» (الروم: ٦)، فما ظهر الربا في أمة إلا أهلكها، ولا في جماعة إلا دمَّرها، ولا فشا في أمة إلا حلَّ بها الفقر والأمراض، وكم نرى ونسمع من تلف الأموال وزوالها، بغرق، أو حرق، أو نحوهما من العقوبات العاجلة.

وفي القبر؛ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْض مُقَدَّسَة، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَر مِنْ دَم فيه رَجُلٌ قَائِمٌ، وَعَلَى وَسَط النَّهَر رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْه حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَر،

فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ. فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا". (البخاري: ٢٠٨٥).

ويوم العرض يقول الله تعالى: «ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ» (البقرة:٢٧٥).

قال المفسرون: أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقومُ الذي مسَّه الشيطان وصرعه، كُلما قاموا، صُرعُوا، وكلما أرادوا النهوض، سقطوا، فهم كالمجانين والعياذ بالله. (تفسير ابن كثير: ١/٧٠٨).

فضلاً عن الحرب المعلنة من الله القوي على المرابين، «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ» (البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩)، وأيُّ حرب هذه المعلنة هنا من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ إنها الحربُ المدمرةُ للربا والمرابين فهي حربٌ على الأعصاب والقلوب، وحربٌ على البركة والرضا، وحربٌ على الصحة والسعادة والطمأنينة، فالمرابي هو الخاسر المهزوم المخزي المحروم المطرود من رحمة الله الرحمن، فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: "هُمْ سَوَاءٌ". (متفق عليه).

والربا من أشد المعاصي على الفرد والمجتمع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله». (صحيح الترغيب: ١٨٥٩).

> **المال يُمحق بالربا أو يزول وبالصدقات ينمو ويزداد ويبارك فيه**

وآكل الربا مهدَّد أن يُمسخ. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليبيتن أناس من أمتي على أشر وبطر، ولعب ولهو، فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم المحارم، واتخاذهم القينات، وشربهم الخمر، وأكلهم الربا، ولُبسهم الحرير». (صحيح الترغيب: ١٨٦٤).

هذه بعض العقوبات التي توعد الله ورسوله بها آكل الربا، ولا يُنجّي منها إلا التوبة النصوح، ونفض اليدين من هذا الوزر الوبيل إلى غير رجعة، كما قال الله تعالى: «وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ» (البقرة:٢٧٩).

ألا وإن من لطائف القرآن أنه يقرن الترهيب من الربا بالترغيب في الصدقة، فبعد أربع عشرة آية في الترغيب في الصدقة في سورة البقرة تلاها مباشرة الترهيب عن الربا في سبع آيات، وبعد أن قال سبحانه: «يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟» (البقرة:٢٧٦) أعقب مباشرة بقوله: «وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ» (البقرة:٢٧٦)، وبعد قوله سبحانه في سورة آل عمران: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً» (آل عمران:١٣٠)، جاء قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ» (آل عمران:١٣٤)، وفي سورة الروم بعد قوله تعالى: «وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ» (الروم:٣٩)، أعقبه بقوله سبحانه: «وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ» (الروم:٣٩).

فأكد القرآن أن المال يُمحق بالربا أو يزول، وبالصدقة ينمو ويزداد ويُبارك فيه، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل.

الشيخ يوسف محمد سليمان رحمه الله. .سيرة طيبة ومسيرة عطرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: مع علم من أعلام جماعة أنصار السنة المحمدية، ننظر في حياته وجهوده، ونعتبر بما قدمه وبذله، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ولادته ونشأته:

ولد الشيخ في بلاد النوبة القديمة بقرية الديوان عام ١٩٢٤م.

تعلم وتكلم اللغة النوبية حتى ٦ سنوات، ولم يعرف غيرها حتى دخل الكتاب، وتعلم القرآن الكريم، فقوَّم لسانه وأفصح بيانه، وجعل الكثير ممن يستمعون لخطبه ومحاضراته لا يعرفون أنه من بلاد النوبة.

طلبه للعلم النافع:

استكمل حفظه للقرآن الكريم على يد المشايخ في كتاتيب قرية دراو بعد انتقاله لقرية دار السلام النوبية بعد التهجير وبناء السد العالي، ثم انتقل إلى القاهرة فطلب العلم على يد ثلة من الأولين من العلماء المخلصين والدعاة العاملين من الرعيل الأول لمشايخ جماعة أنصار السنة المحمدية، حيث لازمهم بالقاهرة فترة من الزمن، وتعرف عليهم عن طريق خاله الشيخ محمود السنوسي رحمه الله.

مشايخه وأساتذته:

يعتبر الشيخ حامد الفقي رحمه الله، مؤسس أنصار السنة المحمدية بمصر، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ رشاد الشافعي، والشيخ عبد الحميد عرنسة، والشيخ خليل هراس، رحمهم الله أجمعين، هم أبرز مشايخه، فقد حضر واستمع لهم الكثير من الخطب والمحاضرات، ولازمهم وجالسهم، وتتلمذ على أيديهم فتعلم منهم دعوة التوحيد والعقيدة الصحيحة الصافية بمسجد الهدارة والمركز العام بعابدين، وحضر واستمع للشيخ محمد علي عبد الرحيم، والشيخ أحمد فهمي، والشيخ بخاري عبده، والتقى بالشيخ صفوت نور الدين، والشيخ زكريا حسيني، رحمهم الله أجمعين، وغيرهم من الدعاة والمشايخ عند زياراتهم لفرع أنصار السنة بأسوان، حيث كان رئيسًا للفرع أكثر من خمسة وعشرين عامًا تقريبًا.

ولازم أيضًا الشيخ أبا الوفاء درويش بسوهاج، الذي كان يحبه حبًّا جمًّا ويثق به ويبعثه في المساجد والقرى بسوهاج ليلقي خطب الجمعة، وكان يأمنه على أمور الدعوة إلى الله، ويعلمه فنّ الدعوة وطرقها وأساليبها، ويحضر معه المناظرات العلمية والحوارات الفقهية والمحاضرات.

وقد تأثر بالشيخ أبي الوفاء درويش علاَّمة الصعيد آنذاك تأثرًا كبيرًا وكانت من أجمل أيام عمره المبارك التي قضاها بسوهاج مع الشيخ أبي الوفاء درويش، وكان دائمًا يستشهد بما قال الشيخ في كتبه، وخاصة كتابه «صيحة الحق»، وبما كان يكتبه الشيخ في مجلة الهدي النبوي من مقالات رصينة، والتقى من بعده الشيخ مصطفى درويش داعية سوهاج والأب الروحي لشباب الدعوة بسوهاج.

مجلة التوحيد:

كتب فيها رحمه الله مقالات في التوحيد الخالص بعنوان «أضلهم السامري»، وسلسلة مقالات بعنوان «وماذا بعد الحق إلا الضلال».

منهجه في الدعوة:

كان يركز في خطبه كلها والتي غالبًا ما تكون في تفسير القرآن الكريم على الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب لإيمانه بأن قضية التوحيد هي الأساس في الدعوة وما بُعث النبيون وأرسل المرسلون إلا من أجل الدعوة إلى توحيد الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يمارس الخطابة في مسجد أنصار السنة بالسيل لمدة تزيد عن ثلاثين عامًا تقريبًا، وتتميز خطبه بالسهولة والوضوح والسلاسة والتركيز على موضوع الآيات وتدبرها، واستنباط الحكم الجليلة والفوائد العظيمة، وكان يخطب في المناسبات ويجوب القرى إذا دُعي لإلقاء كلمة أو محاضرة، لا يكل ولا يمل واستمر في الخطابة على المنبر حتى وصل سنه إلى ٨٨ عامًا تقريبًا.

تعامله مع الشباب:

كان يحب شباب العمل الإسلامي، ويحتضنهم ويحنو عليهم، ويوجههم ويشجعهم ويسأل عنهم، وينصحهم بإخلاص وتجرد، وكان بمثابة الوالد لهم ودائمًا ما كان يوصيهم بالحكمة والرفق في الدعوة إلى الله تعالى.

مواقف من حياته:

كان يعمل في بداية حياته الوظيفية في قلم الرخص بالشئون البلدية والقروية بالمحافظة، وجاءته إحدى النساء من المشهورات لعمل ترخيص مقهى لها يقدم الخمور فرفض الترخيص لها رفضًا باتًا قاطعًا، فشكته للمحافظة، وكتبت في مجلة روز اليوسف تشهر بالشيخ فأوقع عليه المحافظ آنذاك جزاء خمسة عشر يوما تقريبًا، ثم جاء محافظ جديد فتظلم الشيخ وقدم له طلبًا برفع الجزء فوافق المحافظ والحمد لله الذي قال في كتابه العزيز: «إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد: ٧).

وفاته:

تُوفي يوم الاثنين ٢٤ من أكتوبر ٢٠١٦م بعد بلوغه ٩٢ عامًا من العمر المبارك المديد وكان يحب ويحرص على الصلاة في المسجد، على الرغم من كبر سنه ورقة جسمه، وقد توفي عقب إجرائه عملية جراحية بشهر تقريبًا بعد معاناة شديدة مع المرض، نسأل الله أن يرحمه وأن يجعله في ميزان حسناته.

وكتبة: فتحي أمين عثمان

إنا لله وإنا إليه راجعون

فقدت جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر ابنًا غاليًا، وأخًا حبيبًا، وهو الشيخ فرج خليل المسعودي، الذي توفي بعد معاناة طويلة من المرض، نسأل الله عز وجل أن يجعل مرضه كفارة له، وأن يلحقه بالصالحين في جنات النعيم.

وكان الشيخ رحمه الله أمينًا للصندوق بمؤسسة الحرمين الخيرية بالمملكة العربية السعودية سابقًا.

ولا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون، نسأل الله أن يغفر له ويرحمه.

عزاء واجب

تتقدم جماعة أنصار السنة المحمدية، وأسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء في وفاة الشيخ محمود مرسي أحمد حبشي، رئيس فرع بلبيس.

وكان رحمه الله مديرًا عامًّا بوزارة التربية والتعليم، وتولى رئاسة مجلس إدارة فرع بلبيس بعد وفاة الشيخ زكريا حسيني، رحمهما الله.

وكان الشيخ مثالاً يُحتذى في الأدب الجمّ، والأخلاق الرفيعة، وكان داعية مجتهدًا في دعوته، رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له، ولسائر موتى المسلمين.

خالص العزاء

تعزي جماعة أنصار السنة المحمدية، وأسرة تحرير مجلة التوحيد، الشيخ عبدالإله مرسي، نائب فرع الملايقة، محافظة الشرقية، في وفاة زوجته، رحمها الله رحمة واسعة، وأدخلها فسيح جنته.

رئيس التحرير

الآن

مفاجأة سارة

موسوعة التوحيد

١٠٠٠ جنيه

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٣٢

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية.
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، خمسة وأربعون عاماً من مجلة التوحيد.
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد.

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

مجلدات
مجلدات
مجلدات

٤٥

بـ ١٠٠٠ جنيه فقط

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٥ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٩٣٦٥١٧ - ٢٩١٥٤٥٦

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

مجلدات
مجلدات
مجلدات

٨ شارع قولة . عابدين
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦